مبدأ الوراثة في الفلسفة الحديثة وموقف الإسلام منه

إعداد

الدكتورة /نادرة حسن عبد الجواد محمود

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

فرع جامعة الأزهر بالمنصورة

مبدأ الوراثة في الفلسفة الحديثة وموقف الإسلام منه

نادرة حسن عبد الجواد محمود

قسم العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات فرع جامعة الأزهر بالمنصورة

Naderamahmoud.7.19@azhar.edu.eg

الملخص

فإن الله تعالي هو الذي خلق الخلائق جميعا وحده، وبث في كل نوع منها ما به استمرار وجوده، واستقرار حياته، يستوي في ذلك ما يتعلق بالكائنات النطفية وغيرها، لأن ذلك من السنن الإلهية، ولن تجد لسنة الله تحويلا.

غير أن البعض ممن ظنوا بأنفسهم القدرة في الحديث عن بدايات الخلق، خرجوا على القواعد العامة، والمبادئ الثابتة، ونسبوا لأنفسهم ما لم يعلموا، فتناولوا بدايات الخلق الإنساني _مما تناولوا_ وزعموا معرفتهم بأصل الإنسان ونشأته، ثم تحدثوا عن قضايا الخلق الأول وما يترتب عليها، وزعموا أن أفكارهم الإنسانية، هي البديل عن النصوص الإلهية.

بل اعتقد هؤلاء أن فكرهم يمثل اتجاهاً علمياً فلسفياً، يصح أن يواجه قضايا الدين، بل ويتصارع معها حتى يهدمها، وهذا في حد ذاته نوع من الإفلاس العقلي والمعرفي، ومن هنا اخترت أن يكون موضوع هذا البحث هو: " مبدأ الوراثة في الفلسفة الحديثة وموقف الإسلام منه "

الكلمات المفتاحية: مبدأ – الأيلولة – الاختزالي – الفلسفة – التبادل

The principle of inheritance in modern philosophy and the standpoint of Islam thereon

Nadra Hassan Abdel-Gawad Mahmoud
Department of Creed and Philosophy, College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Mansoura, Al-Azhar University
Nadrahassan@gmail.com

Abstract

Allāh Almighty has created all the creatures and has dispersed therein the factor of their existence and their life stability; all related to semen-drop creatures and other creatures are equal because that is the Divine laws "Sunnan", and no turning off will you find in Allāh's Sunnah.

However, some of those who thought themselves capable of talking about the creation origination, deviated from the general rules and established principles, and attributed to themselves what they did not know. So, they addressed the origination of human creation, claimed knowledge of the origin and genesis of human race, then discussed the issues of the first creation and its consequences, and they claimed that their human ideas are the alternative to Divine Revelations.

Rather, they believed that their ideology represented a scientific and philosophical trend that could face religious issues, and even wrestle with them to be destroyed; this in itself is a kind of mental and cognitive bankruptcy. Hence the topic of "The principle of inheritance in modern philosophy and the standpoint of Islam thereon" will be the thesis of this research.

Keywords: Principle – Devolution – Reductionist – Philosophy – Exchange

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق كل شيء وقدره تقديرا ، وبين جل شأنه، أن كل ما خلق هو الأحسن والأكمل و الأتم ، ومن ثم تحدي الله به الجميع ،فقال جل شأنه: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ}(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله ،وحده لا شريك له ،منح كل ما خلق ما تنتظم به أمور حياته يدل عليه ظاهر قوله تعالى في رد نبي الله موسى الكليم علي فرعون { قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى} (٢).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، بين للناس جميعا أن كل ما خلق الله جاء علي الحكمة والفطرة ،يدل عليه قوله ﷺ : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ،فأبواه يهودانه أو ينصرانه ،أو يمجسانه ،كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ،هل تحسون فيها من جدعاء»(٣) ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه:{فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ} (٤).

اللهم صلي وسلم ،وبارك علي سيدنا محمد الرحمة المهداة ،والنعمة المسداة والسراج المنير ،وعلي آله وأصحابه والتابعين ،ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

---

(١) سورة لقمان الآية (١١)

(٢) سورة طه الآيتان (٤٩-٥٠)

(٣) الإمام البخاري "صحيح البخاري "ج٢ باب (إذا أسلم الصبي فمات) ص٩٤ رقم الحديث (١٣٥٨) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم الشيخ/محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة: (١)١٤٢٢هـ.

(٤) سورة الروم الآية: (٣٠).

أما بعد،،،

فإن الله تعالي هو الذي خلق الخلائق جميعا وحده ،وبث في كل نوع منها ما به استمرار وجوده ،واستقرار حياته ،يستوي في ذلك ما يتعلق بالكائنات النطفية وغيرها ،لأن ذلك من السنن الإلهية ،ولن تجد لسنة الله تحويلا.

غير أن البعض ممن ظنوا بأنفسهم القدرة في الحديث عن بدايات الخلق ،خرجوا على القواعد العامة ،والمبادئ الثابتة ،ونسبوا لأنفسهم ما لم يعلموا ،فتناولوا بدايات الخلق الإنساني _مما تناولوا_ وزعموا معرفتهم بأصل الإنسان ونشأته ،ثم تحدثوا عن قضايا الخلق الأول وما يترتب عليها ، وزعموا أن أفكارهم الإنسانية ،هي البديل عن النصوص الإلهية.

بل اعتقد هؤلاء أن فكرهم يمثل اتجاهاً علمياً فلسفياً ، يصح أن يواجه قضايا الدين ،بل ويتصارع معها حتى يهدمها ،وهذا في حد ذاته نوع من الإفلاس العقلي والمعرفي ،ومن هنا اخترت أن يكون موضوع هذا البحث هو : " **مبدأ الوراثة في الفلسفة الحديثة وموقف الإسلام منه** " ، وهذا البحث يدور في نقاط أهمها :-

<u>أولاً: أسباب اختيار الموضوع:-</u>

لما كان موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية كجسم الإنسان لعلم الطب، فإن هذا الموضوع قامت له أسباب بعضها ذاتي داخلي وبعضها موضوعي خارجي.

أما الأسباب الذاتية: فهي التي تتعلق بالباحث، من حيث إنها التي تلح عليه، وتمارس العديد من الضغوط بغية القيام بهذا العمل وإتمامه. ومن أبرزها:-

١- أن المسلم علي يقين من أن الخالق هو الله سبحانه وتعالى ،ومن يحاول الخروج علي هذا فإنه يحاول أن يصيب المسلم في عقله الواعي ، وإيمانه الأكيد ،وهذا في حد ذاته كاف لحث المسلم على بيان فساد المخالف.

٢- تقرير العقيدة الإيمانية بما يتناسب مع واجب المسلم من حيث أن كل فرد من أبناء المسلمين إنما هو مبلغ عن رسول الله ﷺ ،وهو حامل ذات الأمانة بقاعدة الاستخلاف الشرعي: «بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ،ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١].

٣- الدفاع عن العقيدة الإلهية حتى تظل عاملة في النفوس والعقول والقلوب، ومن ثم فالمسلم هو الذي يقوم بهذه المهام من داخله، ولا يستطيع التخلي عنها.

أما الأسباب التي تتعلق بالموضوع نفسه، ويطلق عليها لدي علماء المناهج المعاصرة اسم الأسباب الموضوعية؛ من حيث أنها تتعلق بالموضوع وتسمى خارجية من حيث أنها ليست جزءاً من الفرد الواعي، وأبرزها:-

١- أن البحث العلمي يستلزم الحيدة والموضوعية ،والبعد عن فرض النتائج السبقية مادام علماً يستند إلي الملاحظة والتجربة ،وبناء عليه تكون دراسة هذا الموضوع لبيان ما إذا كان المنهج العلمي أمكن تطبيقه أم لا.

(١) الإمام البخاري "صحيح البخاري "ج٤ باب (ما ذكر عن بني إسرائيل) ص١٧٠ رقم الحديث (٣٤٦١) .

٢ – بحث الدوافع التي فرضت ذاتها علي القائلين بالوراثة الأحيائية ،وبيان أنها بعيدة عن القواعد العلمية ،ويكفي أنها لم تقع تجربة صحيحة ولو مرة واحدة لما يسمونه قواعد علمية ، بحيث تكون النتائج مترتبة علي المقدمات.

٣– أن بعض تلك الجوانب المتعلقة بالتطور الأحيائي ،أو الوراثة لم يثبت أن العلم قد أكد عليها ،بل أنهم لم يميزوا بين العلم الذي يمكن تطبيقه بشأنها والآخر الذي يستحيل عليه التطبيق، وأعني به الوثائق الأحيائية التي متى تمسك بها التطوريون فقد نقدها مخالفوهم علي ذات القواعد الأحيائية ،وبهذا تتلاقي الأسباب الذاتية والموضوعية التي تدفع للقيام بهذا البحث.

ثانياً: المنهج المستخدم:

وأعني به المنهج المتكامل أو التكاملي، وهو الذي يجمع بين جنباته العديد من المناهج المختلفة التي تمكن الباحث من إتمام بحثه المعرفي علي ناحية صحيحة ،وهو منهج مرن لكونه يجمع بين العديد من المناهج ،ثم يوظف لتكون النتيجة لصالح البحث العلمي بما يفرز النتائج المترتبة عليه ،كما أني حين أذكر الرأي المتعلق بالجانب الأحيائي علي لغة الفلاسفة غير المسلمين ،فإني أتبعه بالمناقشة التي تمثل الجانبً الذي جاء عليه شرع الله رب العالمين، وفهمه مفكرو المسلمين.

ثالثاً: أهم الأهداف والغايات:

لما كان الهدف هو الذي يميز موضوعاً عن آخر في عقل الباحث فإن الغاية هي التي تترتب عليها الفوائد، وبناء عليه فإن أهداف هذا البحث وغاياته تدور في:–

١- إدراك أن النصوص الشرعية جمعت فأوعت، والغاية التأكيد علي أن التمسك بالنصوص الشرعية يمثل عملا ذا فائدة بالنسبة للمفكر المسلم ،ويعبر في ذات الوقت عن القواعد الإيمانية المستقرة في عقله.

٢- الوقوف علي الأبحاث التي قال بها الآخرون ،ونزع غطاء القداسة عنها والغاية هي فتح باب المعرفة الإنسانية من خلال التأمل في النصوص النقلية وتوظيفها بما يحقق النتائج الصحيحة ،بل إن الأهداف والغايات تتعدد علي نحو تتسع مسافته ،وتزداد مساحته ،وهو مذكور بين ثنايا هذه الدراسة.

رابعاً: المشكلات البحثية:

١- وجود العديد من الكتابات المتعلقة بالتطور الأحيائي ،وبعضها تم قيده بأيدي غير المسلمين ،وبعضها كتب بأيدي المسلمين الذين اعتقدوا صحة تلك الآراء ،وهذا في حد ذاته يمثل خلطا بين المباحث والباحثين ،بين الموضوعات المعرفية والذات العارفة.

٢- أن المشاكل الأحيائية لم يتم الفصل النهائي في كثير من جوانبها. نظرا لاختلاف المناهج البحثية بشأنها ،وعلي الأخص التساؤل الذي مازال مطروحا وهو هل التطور الأحيائي لا يحتاج الي خالق أم هو ذاته الخالق ،وحاشا لله أن يكون الجانب الأحيائي هو الخالق ،بل الخالق للجميع هو الله جل علاه.

خامسا: مكونات الدراسة: يتكون هذا البحث من :

مقدمة: وتشتمل علي:-

أ/ أسباب اختيار الموضوع.

ب/ المنهج المستخدم.

ج/ المشكلات البحثية.

د/ الأهداف والغايات، ثم مكونات الدراسة.

الفصل الأول: تحديد المفاهيم.

الفصل الثاني: علاقة الوراثة بالفكرة والقانون الطبيعي.

الفصل الثالث: دور الوراثة في التمايز بين الأنواع والأفراد.

الخاتمة: ويجيء معها كل من :-

أ/ أهم النتائج

ب/ أبرز التوصيات

ثم جريدة المصادر ،والفهرس العام

سائلة الله تعالي أن يجعل لنا من أمرنا رشدا.

الفصل الأول

تحديد المفاهيم

يعتبر الحديث عن تحديد المفاهيم في الأبحاث العلمية بمثابة المقدمات الضرورية التي لا غنى عنها ،ومن هنا قرر الباحثون في علوم المناهج المعاصرة ،أن أولي مهام الباحث العلمي التعرف علي عنوان بحثه ،من خلال تحديد المفاهيم ،وتحرير المصطلحات[١] وغايتهم من ذلك وضع إطار عنواني صحيح يشمل الموضوعات التي يتم التعرض لها والجزئيات التي يحاول التعرف عليها.

من المؤكد أن تحديد المفاهيم في الوقت الحالي –الذي انتشرت فيه العلوم ،وتوسعت فيه الموضوعات– يمثل أهمية كبري لأي باحث معرفي يريد الوصول إلي نتائج علمية ،وقد نبه إلي هذه الغاية الكثيرون في مجال فلسفة العلوم، يقول د/وليم سندي: إن الأبحاث العلمية المعاصرة صارت لها سماتها التي تختلف عن غيرها ،ومن أبرز تلك السمات ما يمكن أن نطلق عليه اسم ظاهرة تحديد المفاهيم ،ثم نعول علي تحرير المصطلحات ،بحيث يتم الفصل بين كل علم و الآخر من ناحية الجزئيات المتداولة كموضوعات ،ومن ناحية المناهج كطريقة من طرق البحث العلمي[٢] ،وقد سارت علي ذلك الأبحاث المعاصرة من الناحية المناهجية.

(١) د/محسن مجمد صالح "المناهجية المعاصرة وقواعد البحث العلمي" ص٨ ط١ مكتبة الفهد ١٩٨٥م

(٢) راجع وليم سندي "علم المناهج المعاصرة وأثره في الثورة الرقمية" ص٨٣ ترجمة د/فوزي نصار مراجعة أ/حسن رمزي ط الدار العصرية ١٩٩٤م.

ولما كانت هذه المبادئ من الضرورة بمكان ،فلا أري مانعا من التزامها، وبخاصة أن علماؤنا الأجلاء قد نبهوا إليها من خلال لغة راقية أطلقوا عليها اسم المفهوم ،وجاءت الثورة العلمية المعاصرة لتعول علي هذه المبادئ الراقية[١] التي وضع أصولها علماؤها الأجلاء. و بناء عليه فإني سأتناول المفردات الآتية:-

أولاً لفظ الوراثة:-

وردت مادة الكلمة (ورث) في القرآن الكريم حوالي (٣٥)[٢] مرة تقريبا وكذلك وردت في كل من لغة العرب ،واصطلاحات العلماء ،ألمح إليها ،إذ المعروف أن الألفاظ اللغوية هي أثواب المعاني علي الناحية المعرفية ،ولما كان كل لفظ مستعمل يحمل جملة من المعاني فمن الضروري تحديد المراد منها حتى لا يقع اختلاط عند الاستعمال.

أ- في اللغة:

وردت مادة الكلمة (ورث) في لغة العرب علي معان منها:

(١) حرص مفكرو المسلمين علي رعاية المصطلح من خلال تعبيراتهم عنه باسم الحد تارة ،والمفهوم أخري ،والحقيقة ،فكثيرا ما يقرر الإمام الغزالي في مصنفاته قوله: وحقيقة الشيء كذا. راجع الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ) "ميزان العمل" ص١٨ ضمن مجموعة القصور العوالي مكتبة الجندي ،وراجع كتابه "فاتحة العلوم" ص٦ ضمن رسائل الإمام الغزالي طبعة دار الفكر بيروت وكذا كلمة الحد التي ظهرت في مؤلفات إمام الحرمين الجويني وبخاصة كتابه "الكافية في الجدل" الذي قامت بتحقيقه ونشره د/فوقيه حسين محمود ،وكذلك القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني موسوعته العلمية "المغني" ،حيث إذا تناول موضوعاً من الموضوعات قال: وحده كذا... وهذا مشهور عنه في هذه الموسوعة.

(٢) أ/محمد فؤاد عبد الباقي "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" ،باب الواو ص٨٣٩ بحاشية المصحف الشريف ط دار الحديث القاهرة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

المعني الأول: الأيلولة

قالت العرب فلان ورث المال، والمقصود انه آل إليه وصار يملك التصرف فيه وحده[١]، وبناء عليه تكون الوراثة عبارة عن امتداد من الأصل للفرع، سواء أوقع ذلك علي سبيل الاستقلال، أم كان فيه شركاء[٢] .

وعلاقة هذا المعني بما نحن فيه أن الوراثة تمثل انتقال الصفات من الأصل لفروعه علي ناحية بذاتها ،بحيث يظهر السائد والمتنحي ،ويعبر كل منهما عن حكمه ربانية.

المعني الثاني: التبادل

تقول المصادر العربية توارث الشقيقان ما ترك لهما مورثهما[٣] يقصدون أن كلا منهما تناول هذا الميراث علي ناحية الأجزاء ،وطرائق الاستفادة ،سواء أكان ذلك في الشكل المادي أم الصفات وغيرها .

وعلاقة هذا المعني بما نحن فيه ،أن الوراثة يقع فيها تبادل نوعي بين الأصل وفروعه علي ناحية بذاتها ،وعندنا نحن المسلمين أن مرد ذلك إلي الله سبحانه وتعالي ،وهو المشار إليه بقوله تعالي:**{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}** [٤].

---

(١) راجع المعجم الوسيط الجزء الثاني باب الواو ص١٦٦ ط٣ مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

(٢) الذى لا يقع فيه شركاء هو استقلال الابن الوحيد بميراث ابيه لأنه وارث دون سواه ومنه قوله تعالي:**{وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ}** سورة النمل الآية :(١٦).

(٣) العلامة ابن منظور "لسان العرب" ج٢، فصل الواو ص٢٠١ ،ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ

(٤) سورة الفرقان ،الآية (٥٤).

المعنى الثالث: الانتقال

ذكرت مصادر العربية قولها: الوراثة انتقال من كائن حي إلي آخر يقصدون أن هذا الانتقال تتمثل فيه الصفات الأساسية، والأخرى العرضية.(١)

وعلاقة هذا المعني بما نحن فيه، أن الوراثة تتمثل فيها صفات انتقالية من كائن حي إلي أخر من نوعه، حيث تبرز تلك العملية معبرة عن وجود علاقة من نوع ما بين الجيل السابق واللاحق(٢).

وحيث إن هذه المعاني اللغوية متعددة، فإنها تحتاج إلي رابط يجمعها ويؤلف بين أجزائها، بحيث يقدم للوراثة تعريفا علميا علي ناحية لغوية ،فما هو هذا التعريف؟!

تعريف الباحثة:-

الوراثة الإحيائية هي الانتقال المتبادل بين الأصول النوعية، وعلاقتها بالأحوال والصفات التي قامت عليها ،يستوي في ذلك حالات الصحة وحالات المرض ،كما قد يستوي فيها حالات الفقر والغني إلي غير ذلك من الوجوه(٣) التي تحملها المعاني اللغوية.

ب- في الاصطلاح:-

المراد بالاصطلاح هنا ما يتعلق بالجوانب الإحيائية ،من حيث أنها التي يتعلق بها الحديث عن هذه المسالة ،ومن هنا اعتبرت عندهم قاعدة تطورية كما اعتبرت قانوناً أحيائياً ثابتاً ،

(١) العلامة ابن فارس "معجم مقاييس اللغة" ج٦ باب (و ر د) ص١٠٥، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ،والمعجم الوسيط ج٢ حرف الواو ص١٦٦ .

(٢) وهي في ذات الوقت من الدلائل القوية علي وجود الله تعالي، وسعة علمه، وشمول إرادته، ونفاذ قدرته، وفى كل شيء له فيه أية.

(٣) هذا التعريف مما أعانني الله تعالي علي استخراجه، من المصادر العربية ،ولذا فهو تعريف للوراثة علي ناحية لغوية ،فمن وفق إلي غيره فليحمد الله تعالي فهو من أقسام الله جل علاه.

وسوف أتناول بعض تلك التعاريف الاصطلاحية ومن أبرزها:-

١-الوراثة هي:

انتقال الصفات المتميزة في الأفراد من الآباء ،إلي الأبناء و الأحفاد ،ومن الأصلاب إلي الأرحام عن طريق البلازما التناسلية[١] في صورة أحيائية.

وبالتالي فكلمة الوراثة قد جاءت هنا علي ناحية أحيائية ،لكنها حين تقوم بعملية الانتقال هذه فإنها لا تضع في حسبانها انتقاء النوع ،وهذا موضع الخطر[٢] ؛لأن ذلك مردود إلي العلم الإلهي والقدرة الربانية والإرادة الرحمانية وكل شيء عنده بمقدار.

٢- الوراثة هي:

مبدأ هام إحيائي يقوم فيه وجود تباينات عرضية داخل الكائنات الإحيائية ،طبقا لما ينشأ عن المادة الخام القديمة ،ويتم توارثها من غير احتياج إلى قوة أخري[٣] ،وبناء عليه ،يكون هذا المبدأ قائماً لدي أصحابه مقام القوة الفاعلة التي اعتبرها الفلاسفة الأقدمون بمثابة العلة الأولي التي نشأت عنها العلل المختلفة[٤]،وهذا اتجاه غير سليم.

---

(١) د/ رفعت شريف "علم الوراثة" ص١٨٧ مطبعة النهر الخالد١٩٩٣م .

(٢) مكمن الخطر هنا مردود علي التطوريين أنفسهم لأن مبدأ الوراثة ،أو فكرة الوراثة هنا تفتقد التفكير والإرادة ،وما يستتبع ذلك ،وكأنهم بهذا يهدمون القضية الأساسية .

(٣) د/ محمد السيد "التطور الإحيائي ومشكلة الوراثة" ص١٥٧ ط(١) مكتبة المنهل١٩٨١م .

(٤) قسم ابن سينا العلل إلى علة الوجود وعلة الماهية ،وقسم كل منهما إلى علتين أخريين يقول ابن سينا "الشيء قد يكون معلولا باعتبار ماهيته وحقيقته وقد يكون معلولا في وجوده" الشيخ الرئيس ابن سينا ،الإشارات والتنبيهات القسم الثالث ،مع شرح نصير الدين الطوسي ص١٣،سلسلة ذخائر العرب رقم ٢٢ط٣ دار المعارف بالقاهرة. وفصل الشارح هذه المسألة بقوله: "يريد ان يشير إلى العل ،وهى إما علل لماهية الشيء ،وإما علل لوجوده ،والأولى علل ماهية تنقسم إلى ما يكون به الشيء بالقوة ،وهو المادة ،وما يكون به الشيء بالفعل وهو الصورة ،والثانية-علل الوجود-تنقسم إلى ما يكون علة بمقارنة الذات وهو الفاعل ،وأما أن يكون مباينا للذات وهو علة الغاية" د سليمان دنيا ،تحقيق الإشارات والتنبيهات هامش ص ١٣،١٤ وبذلك تكون العلل الأربعة لا تستقل واحدة منها بإيجاد أو إعدام ،وإنما تتكامل كلها لتدل على الخالق العظيم جل علاه فاعل الكل المبدع الذى لا يحتاج لشيء وكل ما سواه محتاج اليه سبحانه.

٣- الوراثة هي:

العامل الأساسي الفعال في تنظيم الحياة داخل الأنواع المختلفة ،ويتم ذلك عن طريق توريث الصفات والمقومات الجسدية بين الآباء والأبناء والأحفاد ،وقد يترتب عليها ظهور جيل من الأبناء يختلف عن أصوله الأولي بعض الشيء ،نتيجة للتمايز ،وقد يتوافق معه في بعض الملامح نتيجة للتوارث السلالي[١] ،وهذان الاعتباران من الضرورة بمكان ،واعني بهما اعتبار الاختلاف واعتبار التوافق.

ومن المؤكد أن كلا من جانبي العملية الإحيائية (الاختلاف والتوارث) قد أخذا في الابتعاد عن الأصل الأول قليلا ،لاعتبارات أحيائية ظهرت لدي القائلين بها لكنها قائمة في العلم الإلهي عندنا نحن المسلمين كناحية شرعية.

٤- الوراثة هي:

"عملية علمية معقدة من ناحية الدراسة"[٢] تنتقل فيها الصفات متحدة النوع من الأجداد إلي أبنائهم ثم من هؤلاء الأبناء إلي الأحفاد وباقي السلالات ،وقد يكون الانتقال ايجابياً إذا تعلق بالصفات النافعة ،وقد يكون سلبياً إذا ارتبطت به الصفات الضارة ،وكلاهما أمر وارد لا محالة من الناحية الإحيائية ،طبقاً لاتجاهات القائلين بالتطور الإحيائي ،وهو عندنا نجن المسلمين خاضع لما جري به قضاء الله تعالي كتابة وأمراً كما هو واقع في نطاق قدرته تعالي تنفيذاً وفعلا.

من المؤكد أن البحث في نطاق نظريات العلم الحديث المتعلق بفكرة التطور الإحيائي يمكنه أن يجد لها مفردات كثيرة بجانب مؤلفات عديدة

(١) د/ تهاني محمود العتر "نظرية التطور العلمي" ص٥٧ ط الثانية المكتب العلمي ١٩٨٠م.
(٢) أ.ب واتسن، التطور الجيني ص١٣٥ ترجمة وفاء صالح طبعة بيروت ١٩٩٥م.

،وهذا من شأنه أن يقدم الكثير من الاصطلاحات العلمية ،وحسبي أنها تدور فيما ذكرت ،ولذا سأضرب صفحاً عن طلب المزيد ،لكن تبقي نقطة حول مفهوم الوراثة من جانب الباحث العلمي ،فأقول والله ولي التوفيق.

الوراثة هي: العملية التي قدرها الله سبحانه وتعالي في الكائنات الحية ،تدور بينها الأصول والأنساب ،بحيث تعبر عن علم الله تعالي المحيط الشامل ،وإرادته المخصصة وقدرته النافذة ،وربما جاءت إليها إشارات في الآيات القرآنية منها قوله تعالي: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}**[1]. محل الشاهد أن الله تعالي يخاطب جميع الناس بهذه الحقيقة الأساسية وهي أنه وحده الذي خلقهم ،يقول الإمام القرطبي: كانت العرب مقرة بأن الله تعالي هو الخالق للجميع ،فذكر مزيد حجة عليهم ،وتقريبها لهم ،وتذكيرا عليهم[2] ، وانعم الله تعالي لا تحصى.

وبالتالي فالوراثة فعل من أفعال الله تعالي ،وصفة من صفاته،لا من فعل غيره أو صفته ثم إن الشاهد هو تناول أصل الخلقة ، والأنسال البشرية ،وقد دل علي ان الانتقال للصفات بين الأصول والفروع مقدر في علم الله تعالي الأزلي الشامل لكل ما هو وارد في الخليقة الأولي ،فكل نفس من بداية أمرها مقرر لها ما يتعلق بها حتى نهاية حياتها ،وزوال أمرها ،ولا دخل للطبيعة فيها كما لا يمكن لقوانين التطور الإيحائية ،أن

(١) سورة النساء الآية (١)

(٢) الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي "الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان" ج١ ،ص٣٤١ تحقيق د/عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط١، مطبعة الرسالة ١٤٢٧/٢٠٠٦م.

تقوم بشي من ذلك[١].

وحيث ذكرت ما يتعلق بلفظ الوراثة علي ناحية اللغة، والاصطلاح فمن المناسب الانتقال إلي باقي المفردات التي جاءت في العنوان.

ثانياً لفظ الفلسفة الحديثة:-

لفظ الفلسفة قد يطلق علي الفلسفة العامة واليونانية ،كما يطلق علي الفلسفات الأخرى كاليهودية ،وفلسفة العصور الوسطى ،ثم الفلسفة الحديثة والمعاصرة ،والفلسفة السياسية ،والاجتماعية ،بل والإلحادية ،أما الفكر الإسلامي فيطلق عليه الحكمة الإسلامية لأن موضوعاته الأساسية هي الله ،الإنسان ،ثم العالم ، والفكر الإسلامي المعبر عنها بالحكمة الإسلامية[٢].

وتعرف الفلسفة الحديثة بأنها التي "تشيد بالعلم الألى، وتحصر مجالها على قدر مجاله"[٣] ،ثم يوضح ذلك بقوله إن الفلسفة الحديثة في جملتها لا تؤمن بالعقل ومعانيه، ومبادئه، ولا تؤمن بجواهر ثابتة حتى تقول بنفس خالدة[٤]، وإله شخص

(١) يزعم أصحاب النزعة التطورية أن كل ما يدور في الكائنات الحية ،وبخاصة الإنسان و الحيوان مرده إلي القوانين التي أبانت عن نفسها ،وتمت ملاحظة النتائج المترتبة عليها ،وهم في كل ما زعموا لم يصدقوا د/محمود السيد فاضل الأفكار التطورية عرض ونقد ص٨٨ مطبعة المعرفة بيروت ١٩٨٧م .

(٢) أشارت مفردات اللغة إلي هذه التسمية ،كما أن الشيخ مصطفي عبد الرازق قد نبه إلي ضرورة إطلاق اسم الحكمة الإسلامية علي مباحث الله والعالم والإنسان تميزا لها عن الفلسفات الأخرى ،فيقول" إن أصل معني كلمة الحكمة في كلام العرب كان ممهدا لهذا الاستعمال" الشيخ مصطفي عبد الرزاق ،تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص٥١ ،مكتبة الأسرة ٢٠٠٧م سلسلة العلوم الاجتماعية .

(٣)أ. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة ص٨، طبعة دار القلم بيروت.

(٤)من البين أنها في رفضها للعقل النظري إنما تعتمد على الجانب التجريبي العملي، ولعل ذلك من الصفات التي أطلقت عليها وتمسك القائلون بها على أنها حديثة.

مفارق للطبيعة"[١].

المراد بالفلسفة الحديثة هنا ما يتعلق بالعقل والخبرات ويعتقد في المادة وما يجري في أعراف القائلين بالطبيعة ،واجتماع العناصر ،ودوران الأفلاك دون الحاجة إلي الله الخالق القادر ﷻ وتعرف باسم الفلسفة الإلحادية[٢] ،يقول الأستاذ: يوسف كرم هي "الفلسفة التي استقلت عن الدين فتكون هناك فلسفة إلحادية"[٣] من حيث إنها لا تعتمد علي الله ،وإنما تنسب الخلق إما إلي الطبيعة في ذاتها ،أو اجتماع العناصر وامتزاجها ببعضها .

وقد أشار العلامة الشيخ الشرقاوي إلي هذا الجانب فقال: الفلاسفة قوم كفار من الروم ،من أهل يونان ،كانوا أهل حكمة وعقل ،فأخذوا في التزهد و التريض ورئيسهم الفيلسوف... لم يكن عالماً ،فمهد طريق الفلاسفة بقوله بقدم الروح ،وقدم العالم ،والوحدة المطلقة[٤] فتبعه من تبعه ،ثم بعث موسى في زمانهم فدعاهم الي شريعته فأبوا ،واستكبروا وقالوا نحن في غنية عن ذلك ،فانا نقول بما تقول[٥] وأنكروا وجود الله تعالي ،كما أنكروا النبوات ،وأنكروا

(١)أ. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة ص٩، طبعة دار القلم بيروت.

(٢) كالوضعية المنطقية والبراجماتية ،وفلسفة نيتشة وغيرها ممن ينكر وجود الله تعالى ،ويرفض الإيمان بالنبوات والرسل كالربوبية المعاصرة المتمثلة في توماس بين وزملائه. راجع د/فريال حسن خليفة ،العقل والمقدس عند توماس بين ،ص٨٢-٨٥ مكتبة مدبولي ،القاهرة ٢٠٠٤م أثناء الحديث عن نقد آيات الوحى والنبوة والمعجزات.

(٣) أ. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة ص٨، طبعة دار القلم بيروت.

(٤)هذه الجوانب الثلاثة ،موجودة في التراث الفلسفي اليوناني علي أنها أصول عامة ،ثم نقلت إلي جانب من التراث الإسلامي علي انه فكر لأصحابه ،وبالتالي فدور مفكري المسلمين هو دور الناقل فقط .

(٥) العلامة الشيخ عبد الله الشرقاوي "حاشية الشرقاوي علي الهدهدي" ص١٢٤، وبالهامش شرح العلامة الهدهدي علي السنوسية، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي بدون تأريخ .

اليوم الأخر.

وبناء عليه يكون مذهب الفلاسفة القائلين بتأثير الأفلاك والعلل محل البطلان ،وكذلك مذهب الطبائعين القائلين بتأثير الطبائع والأزمنة وغيرها ،ثم إن الفلسفة الإلحادية اعتبرت العلم التجريبي هو درة التاج علي مفرق الرأس ،ولذا وقعوا في شطط كبير ، حين زعموا أن الخلق لا يحتاج الخالق وأن الخلق يقوم في جملة القوانين الإحيائية ، بغض النظر عن كونها التي وصل العقل البشري إلي استنتاجها ، وانه الذي سعي في التوصل إليها ،ومن هنا احلوا العقل البشري و القوانين التي تم له استنتاجها محل الله تعالي الخالق القادر وذلك الحاد مبين.

أجل إن الفلسفة التي تعتقد أن إيجاد الكون قد تم بناء علي اقتراب العناصر أو تجاورها والإنسان في وجوده داخل تلك المنظومة الكونية لم يفترق عن غيره ،وقد غاب عنهم التأمل الهادف في الكون ،ولو فعلوا لأدركوا أن كل ما في الكون ناطق بوجود الله تعالي ووحدانيته وعلمه الشامل قدرته النافذة.

ثالثاً كلمة الإسلام :-

عرف الإسلام بتعريفات متعددة كل بحسب توفيق الله تعالى له، ومن تلك التعاريف :

١-**الإسلام هو**: "الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة"[١]وهو تعريف للإسلام بالعمل الصالح القائم

(١)الشيخ ابراهيم الباجوري، شرح الباجوري علي الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد،ص٥٩،طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

في الامتثال والاذعان الظاهرى له[١].

٢-**الإسلام هو** "دين الله الذى أوصى بتعاليمه في أصوله وشرائعه إلي النبي محمد ﷺ ،وكلفه بتبليغه للناس كافة ودعوتهم إليه"[٢] وهو تعريف أراه يحقق الغاية من المعرف.

ومن ثم فالإسلام هو الدين ،الذي جعله الله تعالي للعالمين المشار إليه بقوله تعالي: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }**[٣]وهو الخالد إلي يوم الدين ، وهو الحجة القائمة لله تعالي على المكذبين إلي يوم الدين، ومصادره القران الكريم ،وصحيح السنة النبوية المطهرة ،والمبلغ به القائم عليه هو سيدنا محمدﷺ الذي قال الله تعالي فيه: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}**[٤] ومحل الشاهد أن الحاكم في المسألة هو دين الإسلام لا غيرة ،ومصادره الكتاب والسنة فهما أصل دين الإسلام ومصدره.

(١) ونفس المعنى والمفهوم ذكره الشيخ عبد السلام ابن ابراهيم المالكي اللقاني، في اتحاف المريد على جوهرة التوحيد بهامش حاشية محمد بن محمد الأمير على شرح عبد السلام، ص٥١، الحلبي الأخيرة ١٣٦٨هـ١٩٤٨م.

(٢) الإمام الأكبر الشيخ شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ص٧، دار الشروق، ط٧، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

(٣) سورة المائدة، الآية (٣).

(٤) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

الفصل الثاني

علاقة الوراثة بالفكرة والقانون الطبيعي

يعتبر الحديث عن الوراثة كمبدأ، أو فكرة أحيائية بمثابة البحث العلمي المستقل لدى أولئك الذين يعنون بالفكر علي وجه العموم ، وأعني به: "ترتيب أمور معلومة للتوصل إلي مجهول"(١).

كما يعرف الفكر بأنه: "جملة النشاط الذهني بما فيه من تحليل ،وتركيب وتنسيق ،علي أساس صدور العمل الذهني"(٢) ، وبالتالي فهو مرتبط بالنتائج المترتبة عليه.

وإذا كان لي من فرصة في تقديم بعض الإضافات لمفهوم الفكر طبقاً لما ذكره شيوخنا الأجلاء ،فقد قرر الشيخ القويسني أن الفكر هو :"ترتيب أمور معلومة للتوصل بها إلي أمر مجهول ، فالأمور المعلومة هي المقدمتان: الصغرى و الكبرى ،وأما الأمر المجهول فهو النتيجة"(٣).

وبناء عليه يكون الفكر من الأعمال الإنسانية التي وهبها الله تعالي للإنسان ،وجعله مقترنا بها ،وجاء ذكر ذلك في العديد من الآيات القرآنية علي أساس أن الفكر في العطاء اللغوي هو حركة النفس في المعقولات ،وفي العطاء المجازي يطلق علي الأمر المفكر فيه ، بحيث يتلاقى كل من الذات المفكر ،وعملية الفكر ، ثم التفكر ،والموضوع المرتبط به(٤).

---

(١) العلامة الشيخ شهاب الدين الملوي "شرح السلم" ص٩ ط المعاهد الأزهرية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

(٢) د/ محمود السيد خطاب ،من قضايا الفكر والعقيدة ص٣٨ القاهرة ١٩٥٧م .

(٣) الشيخ حسن درويش القويسني "شرح القويسني علي متن السلم في المنطق" ص٤،الحلبي ١٩٥٩م

(٤) هذه الجوانب الأربعة تتلاقي ويقدم كل منها الوجه الذي يرتبط به مع غيره علي ناحية صحيحة وهو رباط الفطرة الشاعرة علي ما يذهب إليه العلماء ،كما نبه إليه الفلاسفة المسلمون ،راجع لأبي بكر محمد بن باجة الأندلسي "كتاب النفس"ص٣٨:٥١ حيث نبه إلى تلك المسألة ، تحقيق د. محمد صغير حسن المعصومي ،مطبوعات المجمع العلمى العربي بدمشق ١٣٧٩هـ ،١٩٦٠م ولأبي الوليد بن رشد "تلخيص كتاب النفس" ص١٦١ ومعه أربع رسائل نشرها وحققها وقدم لها د. أحمد فؤاد الأهوانى ،مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠م.

كما نبه العلماء إلي أن هذه الجوانب الأربعة تمثل العلاقة القائمة بين الذات المفكر ،وموضوع الفكر نفسه، يستوي في ذلك ما يتعلق بالفطرة التي خلق الله الخلائق عليها ،والبديهيات العقلية التي تبلغ مبلغ الفطرة من ناحية الاستدلال والوضوح طبقاً لما هو قائم في علمه الأزلي ،والمشهور أن الفطرة هي أم الفكرة ،نظرا لكون الفطرة سابقة علي الفكرة في الوجود والفعل الإلهي ،وهي مسألة يجب الالتفات إليها ،لأن كل ما هو قائم في العلم الإلهي يتم خلقه على ذات السنن الإلهية.

ومن المؤكد أن الفكرة الراقية قيامها علي الفطرة الشاعرة من ناحية والفطرة الإيمانية من جهة ثانية ،ومن يراجع الفطر وأنواعها داخل الفكر الإسلامي يجد مساحات واسعة كلها دالة علي الخالق العظيم جل علاه ذاتا وصفات وأفعالا.

ومن المؤكد أن كل فكرة إنسانية ترتبط بغيرها عن طريق جانب وراثي نبه إليه الأخلاقيون ،والعقليون علي السواء ،وبخاصة أولئك الذين استفادوا من النقل المنزل ،وأمكنهم الوقوف علي نتائج التفكير الإنساني السليم ،علي أساس أن الفطرة الأخلاقية قامت علي حب العدل ،وبغض الظلم ،والميل للحسن والابتعاد عن القبح ،ثم الاقتراب من دواعي المدح ،والهرب من سوءات القدح وغايتها التمسك بالفضيلة ،والدفاع عنها والهرب من الرزيلة ،بل الخروج منها ،وبناء عليه فإني سأحاول الحديث عن كل من:

أولاً: علاقة الوراثة بالفكرة:-

سبق القول بأن الفكر يطلق علي (حركة النفس في المعقولات)[1] والفكرة مؤنث الفكر ،عند من يري أن الفكرة اسم جنس يطلق علي كل ما

(١) العلامة شهاب الدين الملوي "شرح السلم" ص٨ .

يدور في العقل الواعي[١] ، ولما كانت عملية الفكر تدور داخل النفس الإنسانية في المعقولات ،فقد صار ذلك من خصائص الإنسان نفسه ،حتى أن الكثيرين من العلماء عرفوا الإنسان بأنه حيوان مفكر.

ولما كانت المعقولات هي التي تدور فيها حركة النفس الإنسانية ، فمن المؤكد أن تكون تلك المعقولات صحيحة ،بحيث تبدوا وجوه صحتها ، كأنها برهان بذاته غير قابل للضغط عليه ،أو التنازل بشأنه.

ومن المؤكد أن حركة النفس في المعقولات تبدأ من المطالب التي تتردد في ثبوتها من ناحية ،المبادئ التي تقوم عليها جازمة بها ،وقد نبه الشيخ المرعشى إلي أن الفكر بهذا المعني ،يشمل نوعي العلم البديهي ، والكسبي مع مراعاة أن الكسبيات تكتسب من البدهيات بطريق النظر[٢] الصحيح لا غيره.

ولما كانت الوراثة في المفهوم العلمي لدي التطورين هي: العامل الأساسي الفعال في تنظيم الحياة داخل الأنواع المختلفة ،ويتم عن طريقها توارث الصفات والمقومات الجسدية بين الآباء والأبناء والأحفاد ،وقد ترتب عليها ظهور جيل جديد من الأبناء مختلف في أصوله الأولي بعض الشيء نتيجة للتمايز[٣] ، فقد صارت فكرة تدور في عقول أصحابها، لكن هل هي فكرة مقبولة أم فكرة غير مقبولة ،وبعبارة أخري هل تعتبر الأفكار التطورية أو الوراثة التطورية مقبولة علي القواعد العلمية أم لا ؟

(١) الأستاذ عبد الصمد السيد فوزي "الإنسان في ظل الأديان" ص٤١ مطبعة المنتزه ١٩٨٥م.

(٢) العلامة المرعشي الشهير بساجقلى زاده "نشر الطوالع"ص٧ ،والشيخ محمد الانبابي "تقريرات الانبابي مع حاشية الشيخ ابراهيم الباجورى علي متن السلم" ص٧ ،مطبعة مصطفى البابى الحلبى ،جمادى الثانية ١٣٤٧هـ ورقم الكتاب بالمطبعة ٣٢٩.

(٣) د/ تهاني محمود العتر "نظرية التطور العلمي" ص٥٧، ط٢ المكتب العلمي ١٩٩٨م.

والجواب:-

أن الوراثة التي قال بها التطوريون ،ويتردد ذكرها في العقل الإنساني علي أنها فكرة لكنها لم تبلغ بعد درجة المعارف الصحيحة ،مع أنها مادة لغوية موجودة في المؤلفات ،والمعاجم اللغوية.

وقد نبه إلي هذا المفهوم ،وتلك العلاقة الكثيرون ممن ذهبوا ألي أن كلمة الوراثة لها وجود لغوي بمادتها الصرفية ،ولها دلالة علي المعني باعتبار أن الألفاظ هي أثواب المعاني ،ومن البين أيضا أن مادة الكلمة (و.ر.ث) جاء ذكرها في حروف منطوقة مكتوبة بلغة واضحة(١).

كما أن علاقة الوراثة بالفكرة تتجلي من خلال مظاهر عديدة حيث هي المظهر القائم في العقل الواعي ،الذي يعمل علي تفهم آيات الله ، والوصول إلي الغايات المرتبطة ،بها حتى يكون الأمر فيها مؤدياً إلي غايات مشروعة ،وقد نبه إلي ذلك العديد من النصوص الشرعية منها أن الأنسال تجيء من أصول ثابتة ،يدل عليها قوله تعالي: **{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ}** (٢).

قال العلامة القرطبي(ت٦٧١هـ) لم يخلق الله الإنسان علي

---

(١) المراد بالوضوح هنا هو الوضوح اللغوي ،بدليل أن كلمة الوراثة موجودة في المعاجم العربية علي ناحية استعمالية ،متى التقطتها أذن واعية ،فهمت أن المراد ما يتعلق بها من الألفاظ المستعملة التي تفيد السامع والمتكلم وقد نبه إلي ذلك العلامة الأخضري حيث قال:

مستعمل الألفاظ حيث يوجد ... إما مُركب وإما مُفرد

العلامة الأخضري "السلم المنورق في علم المنطق" فصل في مباحث الألفاظ ص٤ ط الحلبي القاهرة

(٢) سورة السجدة الآيتان (٧-٨)

خلق البهيمة ولا خلق البهيمة ،علي خلق الإنسان[١] ،ومحل الشاهد أن أنسال الإنسان تتوارث في نوعه ،فلا يختلط نسل إنسان بغيره ،وهذا من معاني الوراثة ،ويقع به التوارث في الأنواع طبقاً لما جاءت به السنن الإلهية ،ونبهت إليه الظواهر القرآنية ،بناء عليه تكون الوراثة ذات علاقة بالفكرة الصحيحة ،التي قيامها علي النصوص الشرعية ،وليس علي الخيالات أو التوهمات الإنسانية .

كما نبهت إلي ذلك آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالي:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}** [٢]،ومحل الشاهد هنا ما ذكره العلامة القشيري (٣٧٦هـ-٤٦٥هـ) بقوله: "تعرف الله تعالي إلي العقلاء ،وتعرف العقلاء إلي كمال القدرة الإلهية ،كما ألاح من براهين الربوبية ،وبراهين الحكمة ،حيث خلق جميع الخلق الإنساني من نسل شخص واحد ،وهو آدمﷺ علي اختلاف هيئاتهم وتفاوت صورهم، وتباين أخلاقهم ،وان اثنين منهم لا يتشابهان ،فلكل وجه في الصورة ،والخلقة والهمة والحالة ،فسبحان من لا حد لمقدوراته ، ولا غاية لمعلوماته[٣].

وبناء عليه تكون الوراثة ذات علاقة بالفكرة القائمة في أصول صحيحة، وإذا خرجت عن هذا القيد (الأصول الصحيحة) فإنها تكون فكرة منقوضة وغير قابلة للتطبيق العملي ،وهو ما

(١) الإمام القرطبي "الجامع لأحكام القرآن الكريم" المجلد ١٧،ص١٤ ،وراجع للعلامة النحاس "معاني القرآن" ج٥، ص٣٠٠-٣٠١ ،وذكر الطبري أن هذا القول لمجاهد أيضاً راجع "جامع البيان في تفسير القرآن" ج١٨ ص٥٩٨.

(٢) سورة النساء الآية (١)

(٣) الشيخ عبد الكريم القشيري "لطائف الإشارات" المجلد الأول ص٣١٣ تحقيق د/ إبراهيم بسيونى ط٣ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة التراث .

يطلق عليه اسم الأفكار المغالطية نظرا لمخالفتها قوانين الفكر الأساسية[١].

غير خاف ان الفكرة الصحيحة تقبل التطبيق العملي ،وتساهم في إقامة انساق معرفية ،يمكن قبولها ،وهذا مما أودعه الله تعالي في العقول الصحيحة وعبرت عنه الفطرة السليمة.

أما إذا ارتبطت الوراثة بعملية كيفية نشأة الكائنات الحية علي النحو الذي يزعمه أصحاب القول بالتطور الإحيائي ،فيمكن وصفها بأنها فكرة غير متكاملة ،قائمة في العقل الواعي ،تمارس عليه أنواعاً من الضغوط بحيث تستخرج منه اعترافاً بأحقية هؤلاء فيما يزعمون، مع أن القاعدة الثابتة في الأمثال العربية تشهد لصالح الوراثة القائمة علي أصول شرعية ،وتبطل الأخرى ،ومنها قولهم "من شابه أباه فما ظلم"

كذلك ظهر أن علاقة الوراثة بالفكرة تعبر عنها جملة من الثوابت في الأعراف الرياضية ،وقد نبه إلي ذلك الذين يتعلقون بالفراسة[٢] العلمية وهي: التي تقوم علي الخبرات والمعارف فيدخل فيها أعمال القيافة ،وما يمارسه الأطباء وأصحاب الخبرات[٣] .

(١) قوانين الفكر الأساسية المشهورة هي: ١- قانون الذاتية ٢- قانون الغيرية ٣- قانون عدم التناقض راجع للدكتور على جبر "منطق حديث" ص٣١ ،دار الطباعة الفنية بالقاهرة ١٩٦٣م ،وراجع للدكتور محمود قاسم "المنطق الحديث ومناهج البحث "حيث استوفى الحديث عن قوانين الفكر بشكل اساسي.

(٢) الفراسة: هي الاطلاع علي ما في الضمائر ،كما تعرف بأنها مكاشفة اليقين ،ومعاينة الغيب وهي: سواطع أنوار تلمع في القلب تدرك بها المعاني. العلامة عبد الرؤوف المناوي "فيض القدير شرح الجامع الصغير" ج١ ص١٤٣ ط٢ دار الفكر للطباعة والنشر ١٣٩١هـ ١٩٧٢م.

(٣) وبناء عليه صح الأثر اتقوا فراسة المؤمن فانه يري بنور الله ،وينطق بتوفيق الله ،الإمام السخاوي "المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علي الألسنة" ص١٩ ط١، تحقيق عبد الله محمد الصديق وعبد الوهاب عبد اللطيف طبعة دار الكتب العلمية بيروت

غير خاف أن الفكرة التي تتعلق بالوراثة تشمل الإنسان باعتباره يحمل الصفات الطينية كلها ،بدليل أنه قد يشابه أحد الطرفين – الأب والأم – وقد يرجع للأصول القديمة من الأجداد مثلا ،"وكلما تم البحث في التاريخ الإنساني العام أمكن الوقوف علي جانب من تلك الجوانب ،وهو ما يعرف بوراثة الفكرة[١]، وليس الوراثة الجسدية أو الإحيائية.

ولما كانت علاقة الوراثة الفكرة هي ما بثه الله تعالي في العقل الواعي ،فان ذلك من الأدلة علي وجود الله تعالي ،وإعلان قدرته ،وعظمته واستمرار فعله في خلقة"، أما لماذا؟ فلما ذكره الدكتور صالح الشيمي من أن فكرة الوراثة الشرعية من الأفكار الفطرية التي خلقها الله تعالي في العقل الواعي[٢] ،وبها يثبت وجود الله تعالي ،وما له من صفات الجلال ،والكمال ،والجمال ،والإكرام.

ثانياً: علاقة الوراثة بالقانون الطبيعي:-

سلف الحديث عن مفهوم الوراثة وعلاقتها بالفكرة ، وها أنذا أتناول مفهوم القانون الطبيعي حتى تتضح المسائل ،ويتم تحديد المفاهيم.

يذهب الاحيائيون إلي أن القانون الطبيعي هو "الذي يقوم علي الملاحظة و الفرض ثم التجربة وصولا الي النتائج الصحيحة، ومن ثم اعتبر هو القمة التي تتربع عليها النتائج في زهو وغرور[٣] ،وعلي هذا فالقانون الطبيعي هو الذي ينتج عن

(١) د/ محمد السيد صالح "الفلسفة الحديثة والمعاصرة" ص١١٢ ط مكتبة القصر ٢٠١٤.

(٢) د/ محمد صالح الشيمي "الأفكار الفطرية بين الدين و الفلسفة" ص٧٣ المكتبة العصرية ١٩٨٤.

(٣) فردريك شاخنت"القوانين العلمية وأثرها في الجوانب الإحيائية"،ص٩٨،ترجمة محمود فوزي

البحث في جوانب الطبيعة ،بغض النظر عما يترتب عليه من نتائج.

ويعتقد الكثيرون من الباحثين في الجوانب الطبيعة أن القانون الطبيعي لا يمثل حالة فردية ،بقدر ما يمثل المنهجية التي تعتمد علي الدراسة ،والتجربة ،وكيفية الاستفادة من التفكير العلمي المنظم ،ولذا ظهرت بواكيره في أزمان بعيدة وتم ضبط قواعده في عصر النهضة وما زال إلى يومنا هذا[١] .

ومادام القانون الطبيعي هو الذي تنتظم فيه تلك العمليات، فمن المؤكد أن وجوده يكون ضرورياً، وليس هناك ضرورة للتعامل مع شيء وراءه أو الاعتقاد في غيره، حسب زعم التطوريين والطبيعيين.

بل لقد نبه الكثيرون منهم إلي أن القانون الطبيعي يخلق ذاته بذاته حتى لو لم يكن هناك عقل يستخلصه أما لماذا؟ فلأن الميدان الحيوي شاهد لذاته بذاته وليست هناك قوة تقوم علي إنتاجه قصداً[٢] ، وإنما الطبيعة هي التي جعلته متحدثا بلسانها ،يحكي قصتها ويروي ما يتعلق بها.

بيد أن هذا القانون الطبيعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوراثة من عدة نواح يطلق عليها جميعاً اسم القوانين الطبيعية ،التي تحكم الشفرة الوراثية[٣] .

١٩٧٨م.

(١) الفريد توفالتس"علم الوراثة والقوانين الطبيعية" ص ٨١ ترجمة حسن رزق ط١ ،بيروت ١٩٨١م.

(٢) انطونيو فرانسس "الوراثة و القانون الطبيعي" ص٣٧ ترجمة د/فوزي محمد خاطر دار الفكر بيروت ١٩٩٨م .

(٣) د/ علياء محمد الفقي "القانون الطبيعي و الوراثة الإحيائية" ص٣٧-٣٨ مكتبة الوردان ١٩٨٥م.

وبناء عليه تكون هناك علاقة رابطة بين الوراثة بما تقوم عليه من قوانين وبين القانون الطبيعي الذي هو أحد هذه القوانين ،أو يمثل جانبا منها، وتدور هذه العلاقة في جملة من القوانين الفرعية ،أبرزها:-

١ - قانون انعزال الصفات الوراثية:-

وهو يقوم علي معني أنه "إذا اختلف فردان نقيان في زوج من الصفات المتقابلة ،فإنهما بعد تزاوجهما ينتجان جيلا به صفة احد الأبوين فقط ،وهي الصفة السائدة ،ثم تورث الصفتان معا في الجيل الثاني بنسبة ٣ : ١" [١] علي الناحية الاحيائية.

ومن المؤكد أن قانون انعزال الصفات الوراثية لا يحتاج الي قوة تحركه أو الاعتقاد في شيء وراء تلك القواعد ،وبناء عليه تحل سيادة الصفات محل القوة التي يمكنها أن تعدل في الجينات ، أو تحدث نوعا من التداخل بالنسبة إلي الكائن الحي.

ويعتقد الاحيائيون أن هذا القانون قد أنشأته الطبيعة لتبرهن به على وجودها وفاعليتها وتعلن عن ذاتها ،يقول هارمس: "إن الوراثة ترتبط بقانون انعزال الصفات ارتباطا لا يمكن إنكاره ،قد ثبت أن هذا القانون وليد الطبيعة بل ربيبها وأنه الذي خطه قلم الطبيعة منذ أماد بعيدة ،ولا يمكن الوقوف به عند الآثار البيولوجية التي ظهرت في الحفريات القديمة"[٢] ،وبناء عليه يكون التطوريون قد افرغوا كل ما في جعبهم ،ووضعت كلها أمام البحث العلمي النظري وليس التجريبي ،إذ لم تظهر هناك عمليات تجريبية أمكن الوقوف عليها بالنسبة لهم كل ما في الأمر

(١) اولن هارمس "البيولوجيا من منظور آخر" ص١٤١ ترجمة صبحي اسكندر ،دار اللؤلؤة ١٩٨٧م.
(٢) جورج هارمس "الإنسان ابن الطبيعة "ص٧٥ ترجمة عدلي فوزي ،مراجعة د/شوقية فوزي ، ود/ حسن شلبي ط بيروت١٩٧٨م .

أنها دراسات نظرية ،ظهرت في آثار حفريات اعتبروها صحيحة وتناسوا وجود الله الخالق الكريم ،أو أنكروه وهو رب العالمين.

٢-قانون التوزيع المستقل للعوامل:-

يذهب التطوريون إلي أن قانون التوزيع المستقل للعوامل يؤثر تأثيرا فاعلا في نشأة الحياة وتطورها وارتقائها ،وتتم صياغتهم له علي أساس (أنه اذا تزاوج فردان نقيان مختلفان في زوجين او أكثر من الصفات المتقابلة فان صفتي كل زوج منهما تورث مستقلة عن الأخرى)[١] وتظهر في الجيل الأول كلها سائدة ،ثم تتوزع في الجيل الثاني بنسبة(٣) سائدة إلي (١) متنحية ، ويعبر عنها بنسبة : (٩) إلي(٣) إلي(٣) إلي(١) فتكون النسب الثلاثة سائدة والواحدة متنحية[٢].

أجل إن هذين القانونين اعتبرهما الكثيرون من الإحيائيين بمثابة الفاعل في أنماط الحياة كلها ،علي أساس أن علم الأحياء لا يقتصر علي الإنسان وحده وإنما يمتد ليشمل الحيوان والنبات أيضاً.

يمكن القول بان علاقة الوراثة بتلك القوانين لدي الإحيائيين تمثل علاقة الفرع بأصله ،فالأصل هو تلك القوانين ،والفرع هو ما ينشأ عن ذات القوانين[٣] وتلك مشكلة بحثية تحتاج المراجعة

(١) هذا الاستقلال يعتبره التطوريون قصدا إراديا تقوم به الصفات المتقابلة استجابة لنزعاتها الذاتية وتطوراتها الطبيعية ،وبهذا يبتعدون تماما عن الإقرار بوجود رب البرية بما له من صفات الجلال والجمال والكمال والإكرام، وهي مشكلاتهم التي يعانون منها .

(٢) د/ علياء محمد الفقى "ماندل وقوانين الوراثة" ص ١٢٣ ط أولي ١٩٧٥م .

(٣) أطلق البعض علي هذين القانونين اسم قوانين الوراثة الماندلية ومع التقدم المذهل في كل من علم الوراثة، وعلم الخلايا وظهور أنشاط السلوكيات الصبغية الجنسية ،والجسدية الذاتية في الحيوان

المعملية.

٣-قانون الانقسام الاختزالي:-

وهو الذي يقوم علي قاعدة أنه أثناء تكوين البويضات ، أو الحيوانات المنوية التي يطلق عليها اسم الجاميات يحدث انقسام يقع معه فصل أزواج الصبغيات (الكروموسومات) المتماثلة ،ثم يختزل عددها إلي النصف في كل جامة علي حده ،وهذا الاختزال مقصود بذاته ،ويجري في كل الكائنات الحية المتشابهة لأنه يعطي التناسليات صورها الطبيعية ،وبناء عليه فإن قانون الانقسام الاختزالي يمهد للاتحاد الجزافي الذي يكون بين البويضة الأنثوية ،والحيوان المنوي الذكري(١).

ويعتقد التطوريون أن هذا القانون يمثل الأصول الوراثية القائمة من بداية الطفرة إلي يومنا هذا ،دون أن يكون بحاجة إلي شيء وراء مادة القانون الطبيعي ونتائجه.

غير أن فكرة الاتحاد الجزافي غير مسلمة لدي فريق من الإحيائيين أنفسهم الذين تعقبوا الأفكار السالفة ،و أبانوا عن وجوه القصور فيها ،وانتهوا الي ان القصد به قائم في مفهوم جريان "هذه الأفعال كلها طبقا لسنن الله في الكون المعبر عنها بالحكمة الإلهية علي الدوام ، ولا يتخلف أمرها إلا إذا أراد الله سبحانه وتعالي إجراء

والنبات اعتقد هؤلاء أن العمليات الوراثية التي نتج عنها التطور تمثل المظهر الفعلي، والمعبر الطبيعي عن الأنشطة الوراثية من غير حاجة الي قوة غيبية أو فاعل يمكن الاعتقاد في وجودة ، او التسليم به وهم في كل ما ذهبوا قد وهنوا

(١) د/أنطونيو فرانسس "علم الخلايا و الهندسة الوراثية"ص٧٠ ،ترجمة عبد الحميد فوزي ،مراجعة د/عنايات احمد صالح بيروت ١٩٨٥م .

سنة جديدة"[١] .

من المؤكد أن أصحاب التطور الإحيائي الذين يعتقدون في نشأة الإنسان علي النحو الذي بعد أصحابه عن الله تعالي ،ويسعى القائمون عليه الي تبني قواعد الإلحاد العلمي ،قد خالفوا السنن الإلهية ،وأنكروا وجود رب البرية مع أن الحقيقة قاضية بوجود الله تعالي ،ووقوع كافة المخلوقات تحت دائرة القدرة الإلهية ،بجانب العلم الإلهي ،والإرادة الربانية، ونحن المسلمين نؤمن بكل ما جاء من عند الله تعالى، ولا نقبل ما يخالفه ،ونسأل الله تعالي أن ينجينا من هوس هؤلاء ،وجنون الآخرين ،وما ذلك علي الله بعزيز.

في تقديري أن الوراثة الإحيائية علي الناحية الشرعية لا يترتب عليها ضرر عقدي ،ولا نفسي ،ولا أخلاقي ؛لأنها علي السنن الإلهية جاءت و القواعد الشرعية قامت ،ثم هي ترد الأمور كلها الي الله تعالي الذي يصور في الأرحام كيف يشاء، لقوله تعالي:**{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** [٢]. ومحل الشاهد أن كل ما يجري من الأصول والأنسال إنما هو قائم في علم الله تعالي واقع في نطاق إرادته ،يتم تنفيذه بقدرته فهو القائل جل شأنه: **{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}**[٣].

(١)د/عبد العظيم محمد الطماوي "البيولوجيا وخطط المستقبل" ص٥٤ ط١ ،الدار الجديدة ١٩٨٠م ود/ كمال محمد العز "دراسات في علم الإحياء" ص١٦٥ ط١ ،دار المنشأة بالإسكندرية ١٩٦٧م .

(٢) سورة آل عمران الآية: (٦)

(٣) سورة القمر الآيتان: (٤٩-٥٠)

ثم إن الوراثة القائمة علي الفطرة مدلول عليها بالعديد من النصوص الشرعية ،منها قوله سبحانه وتعالي:**{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}** (١) .

كذلك دلت الآيات القرآنية علي أن الوراثة الشرعية قيامها فيما يتعلق بالأحياء الذين تأتي أصولهم نطفية ،فإنما تأتي الفروع من ذات الأصول ولا تختلط أصول بأصول ،يدل عليه قوله تعالي:**{فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ}**(٢).ومحل الشاهد أن الإنسان يختلف في أصوله وفروعه عن كل من الحيوان، والنبات، وذلك لحكمة إلهية، مدلول عليها بقوله عز وجل:**{قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ}**(٣).

بل إن آيات القرآن الكريم أشارت إلي قوانين الوراثة الشرعية في صورها ومتغيراتها يدل عليه ظاهر قوله تعالي:**{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}**(٤) ،يقول الشيخ علام: في الآية الكريمة إشارة إلي قوانين ثلاثة:

احدها قانون الخلق الإلهي ،المشار إليه بقوله تعالي:**{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا}**

ثانيها قانون النسب وهو امتداد الأصول من آدمﷺ وهو المشار إليه بقوله تعالي:**{فَجَعَلَهُ نَسَبًا}**

(١) سورة لقمان الآية: (١١)
(٢) سورة الطارق الآيتان: (٥-٦)
(٣) سورة عبس الآيات :(١٧-٢١)
(٤) سورة الفرقان الآية :(٥٤)

الثالث هو قانون المصاهرة وهو المشار إليه بقوله تعالي:**{وَصِهْرًا}** ثم تأتي التتمة لتلك القوانين ،وهي المشار إليها بقوله تعالي:**{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}**[1] وذلك من دلائل وجود الله تعالي[2] ، وتمام علمه وحكمته وشمول رحمته.

ولعل هذه القوانين يستخدم لها بعض المصطلحات التي تعبر عن مضمونها ومنها التسمية بالوحدات الأساسية التي تقوم عليها عمليات الوجود المتواصل للإنسان في هذه الحياة ، ومنها وحدة الأصلاب ،ووحدة الأرحام إلي غير ذلك.

(١) سورة الحجرات الآية: (١٣)

(٢) الشيخ محمود السيد علام "هذا خلق الله" ص ١٣٧ ط المنيل ١٩٦٥م .

الفصل الثالث

دور الوراثة في التمايز بين الأنواع والأفراد

يعتقد الإحيائيون أن الوراثة الإحيائية هي التي تقوم بالدور الفاعل في التمييز بين كافة الأنواع والأفراد ،من غير أن يكون الأمر راجعا إلي الله تعالي علي معني ان الطبيعة قد أقرت وجود هذا الإنسان وأنساله لكن لا مانع من أن يكون هناك أصل سابق علي وجود الإنسان يمثل مرحلة النشوء ،ثم مرحلة التطور وأخيرا مرحلة الارتقاء ،دون أن يكون هناك تدخل من أية جهة غيبية، ويستدلون عليه بجملة من الشبهات يعتبرونها أدلة هي التي صنفت وميزت الإنسان عن الحيوان ،وفصلت تلك الأنواع عن بعضها.

يقول هيلز: "إن الحيوانات الفقارية ومنها الإنسان والقرد تشابهت أجنتها إلي حد كبير ،ولم يكن من السهل لباحث ما أن يقوم بعمليه تمييز دقيقة بين أجنة أنواع هذه الحيوانات المختلفة ،ثم انتهي إلي القول بوجود تشابه تام بينها جميعاً في المراحل الأولي"(١) .

وحيث إن هذه الجوانب متشابهة ،وقد انعقد هذا الفصل للحديث عن دور الوراثة في التمييز بين الأنواع والأفراد علي ما يقول به التطوريون فإني سأحاول عرض المسألة لديهم ،ثم سأتناولها بالمناقشة بغية الوفاء بالضابط القائم فيه البحث المنهجي.

(١) راجع لتوماس هيلز "الكائنات الحية والبيولوجيا المتقدمة" ص٨١، ترجمة فوزي رزق، دار الجيل بيروت١٩٨٧م.

يعتقد الإحيائيون أن الوراثة بالمعني الأحيائي هي التي تؤثر في تنظيم الحياة داخل الأنواع المختلفة ،بل والأفراد التي تندرج تحت كل نوع ،والوراثة لا تحتاج الي شيء خلفها ،لا من المظاهر المرئية ،ولا من المفاهيم غير الطبيعية ،ويعتقدون أيضاً "أن الوراثة تتولي نقل الصفات السائدة والمتنحية من الفرد الي نسله ،مع مراعاة ان الأفراد الأقوياء تنتقل صفاتهم القوية إلي أنسالهم بناء علي هذا الناموس الإحيائي"(١).

ولما كانت الوراثة هي التي تتولي نقل هذه الصفات من الأصول إلي الفروع ،فلم تعد هناك حاجة للإقرار بوجود قوة إلهية ،ترتب وجود هذا أو التمييز بين ذاك(٢)،ومن المؤكد أن دور الوراثة في التمايز بين الأفراد والأنواع يقوم لديهم في عدة مراحل ، اعرض كل واحدة منها ثم أناقشها علي النحو التالي:-

المرحلة الأولى: مرحلة الانتخاب:

أ-العرض:-

ومعناها أن الطبيعة قررت انتخاب الأصلح ضمن الكائنات الأولي واعتبرت ذلك هو الممهد للبقاء ،وزودت هؤلاء بميل داخلي يدفع إلي التباين أو التغاير بعيداً عن الأصول التي قامت عليها ، وقد أدي هذا التزود والميل إلي التغاير علي نحو متواصل ،نتج عنه إحداث تغيرات جوهرية في الأنواع الأولي دون حاجة إلي

(١) وليم باتروس "الوراثة ودورها في التمايز النوعي والبيئي" ص١٠٨-١٠٩ ترجمة د/ عبد العزيز فوزي بيروت١٩٧٥م

(٢) هذا الدور الذي خلعوه علي قوانين الوراثة أخفقوا في التمسك به عندما حاولوا إيجاد صيغة أو صيغ متبادلة تعبر عن نتائج مقبولة راجع د/ علي السيد صبحي "الأفكار التطورية وأخطارها علي القدرات العقلية" ص٨١ المنتزه١٩٧٨م .

شيء وراء ذلك.

يقول د/حشمت: "إن الطبيعة في إنتاجها للأصلح قررت له البقاء واختارت تزويد الأفراد بما أطلق عليه الميل الداخلي التباييني[١] الذي يبرز عملية التغاير في الفروع عن الأصول التي قامت عليها ، ولا بد من إحداث تغيرات جوهرية في الأنواع" [٢] .

ويعتقد الإحيائيون أيضا أن عملية الانتخاب الطبيعي لابد فيها من التجانس الحيوي ،وضرورة توريث الصفات المكتسبة[٣] لاعتبارات ذكروا أنها تتناسب مع معتقداتهم الفكرية.

وبناء عليه يكون التحرك نحو الانتخاب الطبيعي هو المستهدف بين الدراسات العلمية ، أو بعبارة أخري فإن المسألة في الانتخاب الطبيعي لا تعدو الأصول العامة والجوانب الفلسفية التي قامت عليها ، وإذا كان بعض الداروينين لم يركزوا علي تلك الفكرة إلا أن البعض ممن لحقهم قد اخذ علي عاتقه توثيق الفكرة، والقيام عليها بما يخدم وجهة النظر الإحيائية[٤].

مما لا شك فيه أن فكرة الانتخاب الطبيعي كانت وما تزال مسيطرة علي عقول التطوريين حيث يعتبرونها المكون الأساسي

(١) يعرف الميل الداخلي التباييني بأنه: قوة موجودة في الأفراد ،غرستها الطبيعة عند عملية الانتخاب بحيث يقوم هذا الميل بمساعدة الجوانب الجوهرية القابلة للتغاير علي إحداث تلك التغيرات في الأفراد ومن قبلها في الأنواع ،د/ تهاني محمود العتر "نظرية التطور العلمي" ص٩٨ ط٢ ،١٩٨٠م .

(٢) د/ محمد السيد حشمت "التطور الإحيائي ومشكلة الوراثة" ص١٨٥ ط أولي ١٩٨١م .

(٣) يعتبر أرازموس دارون هو صاحب فكرتي التجانس الحيوي، وتورث الصفات المكتسبة، و خالفهم في ذلك كل من جوليان هيكسلي وتوماس أندريه ومالتوس راجع لجيمس فوتاس "الوراثة و الطبيعة" ص٩٨ ترجمة هاني فوزي.

(٤) راجع جوزيف دويزفسكي "الوراثة ونشأة الأنواع" ص١٣٥، ترجمة صبحي اسكندر ،دار الجيل بيروت ١٩٧٧م.

لعملية التجانس الحيوي ويظهر ذلك في الأفكار التى طرحها كل من مالتوس ،ودارون ،بجانب والاس وانتهوا إلي أن الانتخاب الطبيعي هو التغيير الذي يحدث في الأنواع ،بانقراض الأفراد الضعيفة التي لا تستطيع أن تواجه الظروف البيئية الطبيعية ، والإحيائية معاً[1].

كما أن فكرة الانتخاب الطبيعي تقرر أنه متى انقرض الحيوان الضعيف فإن صفاته تتلاشي ،وبناء عليه انتهوا إلي انه يترتب علي الانتخاب الطبيعي انقراض العديد من الصفات ،وبالتالي فلا يقع للصفات الضعيفة توارث وإنما التوارث يكون للصفات القوية ،دون حاجة إلي شيء وراء قوانين الطبيعة.

بل يعتقد هؤلاء: إن الانتخاب الطبيعي يمثل مرحلة هامة لدي أصحابه ممن يعتقدون أن استواء جميع الأفراد في صفات بذاتها أول الأمر هو الذي يحدث معه انقراض وانتخاب وتغيير ،يقول هوك: "من المؤكد أن الأفراد الضعيفة ستنقرض في المرحلة التي تتم بداخلها عملية الانتخاب ،لكن في المقابل تنشأ أنواع جديدة مختلفة تماما عن أصلها في كل الأنواع القديمة ،بل تمتاز عنها بأمرين **احدهما:** القدرة علي التكييف ،**ثانيهما:** ملائمة

(١) عملية الدمج بين الظروف البيئية ،والطبيعية والإحيائية قد يكون المراد بها إعداد العقل الإنساني لقبول فكرة الانتخاب الطبيعي ،من غير اعتماد علي خالق عظيم ،وهي فكرة غير مقبولة ،لا في العقل الواعي الذي ثبت لدية أن كل سبب له مسبب ،ولا في الفطرة السليمة التي ركزت علي وجود علاقة شرطية بين السبب و المسبب ،وقد نبه إليها الإمام الإيجي ،حيث جعلها من أدلة المتكلمين علي إثبات وجود الله تعالي وتدخل عنده في قضية "العالم حادث وكل حادث له محدث". الإمام العضد الإيجي "المواقف"، الموقف الخامس في الإلهيات المقصد الأول في إثبات الصانع ص٢٦٦ مكتبة المتبني بالقاهرة.

الظروف البيئية"[١].

من المقرر لديهم أن عملية الانتخاب الطبيعي فيها خلق جديد للكائن الحي ،ولكنها تتم من خلال الطبيعة وقوانينها ،لا من ناحية الله تعالي الذي له كمال العلم وعموم الإرادة ، ونفاذ القدرة ، وبهذا يهدمون البناء الذي أقاموه فوق رؤوسهم ،وليتهم انتبهوا لما يترتب عليه من مشكلات تتعلق بالدين الذي شرعه الله ،وفي نفس الوقت ليتهم انتبهوا إلي أن الانتخاب الطبيعي لا يفرز امتيازا لأفراد علي أخري ،ولا لأنواع علي غيرها لأنه في حد ذاته مصنوع إلهي وليس منتجاً أو مصنوعاً لغير الله.

ب-المناقشة:-

لا شك أن الوراثة قديمة قدم الإنسان ،بل قدم كافة الكائنات الإحيائية التي خلقها الله تعالى ،لكن المشكلة عندما برزت الفلسفة الحديثة ،واخذ المتناولون لها علي عاتقهم بحث جوانب الطبيعة ، والسعي إلي فرض قوانينها علي العقل الواعي ،ثم ازدادت المشكلة حدة عندما أرادوا فرضها علي الدين الإلهي متخذين الفلسفة والبحث النظري والتجريبي وسيلة ،لكنها أدت بهم في النهاية إلي إنكار الدين الإلهي ، والخروج عليه ،مع أنه دين الله الذي جاء لمصالح العباد في العاجل والآجل[٢].

(١) اندريه توماهوك "نظرية التطور في الكائنات الحية"ص١٣٥،ترجمة نصر الدين فواز ،ط بغداد ١٩٨٣م .

(٢) نبه إلي هذه الحقيقة علماء الأصول وعلماء العقيدة ،بل وجميع المفكرين المسلمين الذين نظروا في الكتاب والسنة ،وانتهوا إلي قواعد عامة أمكن صياغتها صياغة أصوليه ،ومنها أن الشريعة ما جاءت إلا لمصالح العباد في العاجل والآجل، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله. الشيخ إبراهيم الشاطبي "الموافقات في أصول الشريعة" ج٢ ،ص١٤، تحقيق الشيخ عبدالله دراز، مكتبة الأسرة بالقاهرة ٢٠٠٩م و"الاعتصام" له أيضاً ج١ ص٤٠ .

وحيث عرضت ما يتعلق بمراحل فكرة الوراثة الإحيائية لدي أصحابها فمن المناسب أن تتم مناقشة كل مرحلة ليبرز دور الفهم الواعي لنصوص الدين الإلهي ،باعتبار أن العرض تمثل فيه الفكر الفلسفي الذي اعتمد عليه هؤلاء الاحيائيون ،وهنا يأتي دور الدين حتى تتم العملية المنهجية التي قام عليها عنوان البحث ،وهو بين الدين و الفلسفة ،وستكون المناقشة في حدود ما يلي:-

١- قامت المرحلة الأولي علي فكرة الانتخاب الطبيعي ،وأن الطبيعة هي التي قررت اختيار الأصلح ضمن الكائنات الأولي ،ثم زودته بميل داخلي يدفع الي التباين و التغاير ،لكن هذا الفهم يخالف الطبيعة ذاتها أما لماذا؟

فلأن طبائع الأشياء ثابتة ،و العلم بها متحقق، ولم يخالف في ذلك قديما سوي السوفطائية الذين قرروا نسبية الحقائق لا ثباتها ،وغايتهم من ذلك زعزعة القيم والقفز فوق النصوص الشرعية ،وبالتالي فهو اتجاه هدمي يراد به التدمير لا التعمير ، والإلحاد لا الإيمان(١).

٢- أن القول بالانتخاب الطبيعي مرده إلي فعل قوي كامنة في الطبيعة دون الحاجة إلي خالق مريد له صفات الجلال والجمال والكمال والإكرام وذلك فيه إنكار لله تعالي وصفاته ، وإحلال الطبيعة محل الخالق ،وفي هذا خرق لبديهيات،

(١) نبه إلي ذلك الكثيرون من علماء المسلمين ومتأخرى الفكر حيث تناولوا قضايا السفسطة وصنفوها ،وأطلقوا عليها اسم الإلحاد النظري تارة ،والعلمي تارة أخري ،ويعتبر د/يحي هاشم فرغل في كتابه الإلحاد العلمي ومشكلاته ممن لمس هذا الجانب علي ناحية قصد إليها .

العقول أما لماذا؟ فلأن أحكام العقل يجري فيها الواجب[١]،ومن المؤكد أن الواجب لا يكون ممكنا ،والممكن لا يكون واجباً، والثابت أن الخالق هو الواجب، وأنه تعالى مخالف لجميع الحوادث، ولما كانت الطبيعة مخلوقة فلا يمكنها أن تقوم بعملية الخلق أبدا ،وهذا مما تحكم به العقول الصحيحة.

يقول العلامة الهدهدي : "مخالفته تعالي للحوادث معناها، أن لا يماثل شيئا منها ،لا في ذاته ،ولا في صفاته ،ولا في أفعاله، والمخالفة للحوادث عبارة عن نفي المماثلة في الذات والصفات والأفعال"[٢] ،ومعني هذا أن الطبيعة لا تحل محل الله ،ولا تقوم بأفعاله.

٣- أن فكرة الانتخاب الطبيعي واعتبارها المكون الأساسي لعملية التجانس الحيوي علي ما تدعي نظريات التطور فيه خروج علي المألوف أما لماذا؟

فلأن فكرة انتقال النفس من المعقولات الأولي إلي المعقولات الثانية فكرة منطقية ،والتطور الاحيائي لا علاقة له بالقضايا المنطقية العقلية، ثم إن المعقولات الأولي هي: التي تكون لها أفراد موجودة في الخارج[٣] ،أما المعقولات الثانية فهي: التي تكون

(١) أحكام العقل ثلاثة: **الأول:** الواجب ،وهو الموجود الثابت الذي لا يقبل العدم أصلا بوجه من الوجوه الله سبحانه وتعالي **الثاني:** المستحيل وهو الذي يمتنع وجودة ومنه شريك الباري والجمع بين المتناقضين **الثالث:** الممكن وهو الذي يقبل الوجود والعدم ويدخل فيه جميع المخلوقات. د/محمود حسن طه الزين "أحكام العقل في الشريعة الإسلامية" ص١٠٣-١٠٤طبعة القاهرة ١٩٦٨م .

(٢) العلامة الشيخ الهدهدي "شرح الهدهدي علي السنوسية" ص٥٢ بهامش حاشية الشرقاوي علي الهدهدي ،ط دار إحياء الكتاب العربية .

(٣) وذلك كلفظ الإنسان ،فإن أفراده الموجودة في الخارج هي الذكور والإناث الذين يحمل عليهم لفظ إنسان ،كالقول بأن أحمد إنسان ،وخديجة إنسان ،فلفظ الإنسان معقول أول من هذه الناحية ،يقول العلامة الجرجاني المعقولات الأولي هي: "ما يكون بإزائه موجود في الخارج، كطبيعة الحيوان والإنسان ،فإنهما يحملان على الموجود الخارجي كقولنا: زيد إنسان ،والفرس حيوان". العلامة الجرجاني "التعريفات" ج١ باب الميم ،ص٢٢١.

أفرادها معقولات أُول[١] علي ما ذهب إليه أهل العلم.

وبالتالي فالفكرة في حد ذاتها اسم معني ،ليس من شأنه أن يقوم بعملية الانتخاب الطبيعي ،أو التجانس الحيوي ،لأنها جميعا تحتاج العقل الواعي والعلم الواسع ،والقدرة الكاملة ،والإرادة المخصصة وبناء عليه يكون القول بفكرة الانتخاب الطبيعي ودورها في التجانس الحيوي قول بغير دليل، ومخالفة للجانب الإحيائي نفسه.

يقول د/ عدنان خيري: أن فكرة الانتخاب الطبيعي لو عدلت إلي فكرة الإرادة الإلهية ،لتحققت المعادلة ،وتمت المواءمة ، ونجحت عملية التلاقي بين الدين والفلسفة ،لأن الباحث الحيوي سيعطي الطبيعة حقها ويعترف بأنها مفعول بها لا فاعلة بذاتها ، ويقر لله تعالي بالخلق والإبداع ،وذلك غاية ما يأمله البحث العلمي، وما تستلزمه العقيدة الإلهية[٢].

٤- أن إدراج عملية الانتخاب الطبيعي ضمن الكائنات العاقلة فيه قسوة وإهدار للانتخاب الطبيعي ذاته ،أما لماذا ؟ فلأن الانتخاب الطبيعي للصفات معناه أن تنقرض الصفات الضعيفة ،بينما الصفات القوية تستمر وتبقي طبقاً لمبدأ بقاء

(١) كلفظ الحيوان فإنه معقول ثان وأفراده هي الإنسان والماعز والفرس وكلها معقولات أول من حيث إن أفرادها أنواع، والمعقولات الثانية هي العوارض المخصوصة بالوجود الذهني. العلامة محمد بن علي الحنفي التهانوي "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د.علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.

(٢) د/عدنان محمد حسين حيدر "الانتخاب الطبيعي وموقف الإسلام منه" ص٧١ ،ط الموصل كركوك ٢٠٠٥م

الأقوى وهذا من شأنه القضاء علي مرحلة الانتخاب الطبيعي بالكلية أما لماذا ؟ فلأن هؤلاء يمنحون الأفراد ،والصفات ،والأنواع القدرة علي التكيف وملائمة الظروف الطبيعية أو البيئية[١]، وذلك مفتقد في الأصول، والقاعدة أن فاقد الشيء لا يعطيه.

وما دامت عملية الانتخاب الطبيعي في صفاتها تملك هاتين الخاصيتين –القدرة علي التكيف ،وملائمة الظروف– علي ما يقول به التطوريون فإنها يمكنها أن تقوم بعملية خلق جديد ، والسؤال الآن:–

من ذا الذي يفرط في وجوده من تلك الصفات حتى يقبل الضعف والانهيار ، وهو يعلم أن تلك نهايته ،من المؤكد ان حب البقاء سوف يأخذ به حتى يقاتل جميع أقرانه بحيث يبقي هو ،ويتحقق فيه مبدأ حب البقاء والدفاع عنه ما دام يملك العقل والقدرة علي التكيف بجانب ملائمة الظروف.

والحق أنها أمور فاسدة ،وتوجهات تبين عن أفكار غير مقبولة، يقول العلامة الهدهدي: "أن كل هذه الأفكار اعتمد عليها الفلاسفة وتمسكوا بها ،ولكن علماء الكلام من المسلمين بينوا فسادها ،حينما ذهبوا إلي أن مذهب الفلاسفة القائلين بتأثير الأفلاك والعلل باطل ،من حيث انه ممكن مفتقر إلي الله تعالي غاية الافتقار أنه يفتقر إلي من أوجده، كيف وكل ما سوى الله

(١) هذا ما نبه اليه اندريه توما هوك في "كتابه نظرية التطور في الكائنات الحية" ص٣٥ ترجمة نصر الدين فواز ط بغداد ١٩٨٣م .

مفتقر إليه جل علاه"[١].

٥- كما تقرر لدي علماء الكلام أن عملية الافتقار إلي الخالق جل علاه في جميع الأشياء تبطل مذهب الفلاسفة ،ومذهب الطبائعين القائلين بتأثير الطبائع و الأمزاج وغيرها ،يقول العلامة الشرقاوي: إن الطبائعين في اعتقادهم التأثير للطبيعة قد خالفوا الحقيقة من حيث أنهم ينسبون العلل الي بعضها، والفرق بين العلة والطبيعة هو: أن العلة لا يتوقف تأثيرها علي وجود شرط ولا انتفاء مانع ،كحركة الإصبع في حركة الخاتم، بخلاف الطبيعة فإن تأثيرها يتوقف علي ذلك – وجود الشرط وانتفاء المانع – كتأثير النار في الإحراق ،فإنه متوقف علي وجود المماسة وانتفاء البلل[٢].

وبناء عليه يكون موقف الطبائعين من فكرة الانتخاب الطبيعي لا تقوم علي سند علمي مقبول ،بل علي العكس فإن كل الجوانب العلمية تأتي مخالفة لها ذامه إياها.

وما دمت قد أبنت عن فساد قول هؤلاء بأن الطبيعة هي التي تقوم بعملية الانتخاب ،فقد بات واضحاً أن الذي خلق وسوي ،وقدر فهدى ،هو الله سبحانه وتعالي ،وهو الذي خلق كل شيء ،ولا يعزب عن علمه شيء فتبارك الله أحسن الخالقين.

(١) العلامة الهدهدي ،"شرح الهدهدي علي السنوسية" ،ص١٢٤ بهامش حاشية الشرقاوي علي الهدهدي ط عيسي الحلبي.

(٢) الشيخ عبد الله الشرقاوي "حاشية الشرقاوي علي شرح الهدهدي علي السنوسية" ص١٢٥،ط الحلبي.

المرحلة الثانية: صياغة الصفات الوراثية:

أ-العرض:-

هذه المرحلة تجيء بعد مرحة الانتخاب الطبيعي ، وتقوم على أنه متى حدث تمايز في الأنواع القوية واستمرار لها ، وانقراض بالنسبة للأنواع الضعيفة فإن الطبيعة تعيد صياغة الأنواع الباقية ،بحيث تجعل الأفراد الأقوياء في الذوات أقوياء أيضاً في الصفات حتى يتم توارث الصفات النقية في الأجيال المستقبلية للأنواع المنتقاة.

يقول هارمس: "إن القوانين الطبيعية حاكمة في الكون ولا يوجد شيء قيامه على المصادفة ،ومن قوانين الطبيعة أن تنتخب الأنواع القوية ،وتحافظ عليها ،ثم تعيد صياغتها من جديد على سبيل التنمية ،بحيث تسلم للكون العناصر المتميزة في الذوات والصفات ،وهو الأمل الذي يسعى إليه العلم في أنماطه و بناءاته الحيوية"(١) .

من المؤكد أن تلك المرحلة تعطي الطبيعة الأوصاف المتعددة التي هي من صفات الإله، وتناسى هؤلاء أن الطبيعة مخلوق لله ،وليست بديلاً عنه جل علاه، بل هي في جميع أحوالها داخل نطاق قوله تعالي:**{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}**(٢) .

(١) اولن هارمس"البيولوجيا من منظور آخر"،ص١٤١ ،ترجمة صبحي اسكندر ،دار اللؤلؤة ١٩٧٨م.

(٢) سورة القمر الآيتان:(٤٩-٥٠) يقول الإمام الفخر الرازي : قدر ما هو مقدر ،وعلى هذا فالمعنى أن الله تعالى لم يخلق شيئا من غير تقدير ،كما يرمي الرامي السهم فيقع في موضع لم يكن قد قدره ،بل خلق الله كما قدر بخلاف قول الفلاسفة إنه فاعل لذاته، والاختلاف للقوابل ،فالذي جاء قصيرا أو صغيرا فلاستعداد مادته ،والذي جاء طويلا أو كبيرا فلاستعداد آخر. الإمام الفخر الرازي "مفاتيح الغيب"ج٢٩ ص٣٢٧ ،ط٣ ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ١٤٢٠ هـ.

ويحاول جورج بيتر إظهار هذه المرحلة في صورة علمية بغرض التأكيد علي أن الصفات الوراثية ثابتة ،وان الذي يهبها للأنواع والأفراد هو الطبيعة من خلال عمليات واضحة المعالم ، فيقول "لو قدرنا إن ألاف الأنواع بل مئات الآلاف من الأنواع ، أمكن وضعها في إطار بيولوجي أحيائي فإن الطبيعة قادرة علي تصنيفها في مجموعات تتفق مع أهدافها الوراثية ،وتقيم فيها عمليات الانتخاب ،ثم تعيد صياغتها من جديد، كما يفعل الصائغ حينما تعرض عليه المجوهرات المختلفة ،فينتخبها ثم يصهرها ، وأخيرا يعيد صياغتها في أشكال جديدة ،فالطبيعة هي الصائغ والأفراد والأنواع هي تلك الجواهر، وليس خلف الطبيعة أية قوة أخري، أن الطبيعة هي الصائغ ولا شيء غيره[١] .

أجل لقد اعترف التطوريون بوجود الفاعل ،وأطلقوا عليه اسم الصائغ حتى لا يلتزموا قاعدة الإيمان به جل علاه ،وهم في الحقيقة وقعوا في ظلم أنفسهم ،وفيهم وأمثالهم جاء قول الله تعالي:**{وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ}**[٢] .

(١) جورج بيتر "القوانين الإحيائية ودورها في الكائنات الحية دراسة في البيولوجيا الجزئية" ص١٥٣ ترجمة د/صفوت حسن، مراجعه د/ تهاني عبد المنعم ،ط دار الجيل ١٩٩٨م

(٢) سورة الزخرف الآيات (٣٦-٣٨) يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآيات: من يعش عن ذلك الذكر بالإعراض عنه إلى أقاويل المضلين وأباطيلهم" نقيض له شيطانا" نسبب له شيطانا جزاء له على كفره" فهو له قرين" في الدنيا، يمنعه من الحلال، ويحثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة ،ويأمره بالمعصية. الإمام القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" ج١٦ ص٨٩.

ب–المناقشة:

تعتبر مرحلة صياغة الصفات الوراثية لدي التطوريين تالية لمرحلة الانتخاب الطبيعي ،وقائمة علي انه متى بقيت الأنواع القوية ، وانقرضت الضعيفة فان الطبيعة ذاتها تعيد صياغة الأنواع الباقية ، وتضيف إليها ما يجعل المنتقي متوارثا ويحيلون ذلك إلي قوانين الطبيعة[١] ، وهي منهم براء.

ولما كان هذا التطور قد نسبوه للطبيعة وقدرتها علي التنسيق وإحداث التمايز دون نسبة شيء من ذلك إلي الله تعالي ،فإني سأناقش جوانب تلك المرحلة (صياغة الأفكار الوراثية) من خلال ما يلي:

١– أن هذه المرحلة أعطت الطبيعة أوصافاً بعيدة كل البعد عن الطبيعة ذاتها ،وأولها وصفها بإنتاج قوانين حاكمة ،وهذا الوصف للطبيعة يناقض ذاتيتها التي تقوم علي أنها مخلوقة لله، وليست خالقة ،وأن القوانين التي تحكمها أو تدور فيها ، إنما هي من سنن الله الكونية[٢] ،أو المنبثة في الكون ،دليل ذلك قوله تعالي: **{وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً }**[٣].

ومما يؤكد هذا ما ذهب إليه ابن سينا في تعريف الطبيعة بأنها "اسم على كل قوة يصدر عنها فعلها بلا ارادة فتسمى النفس

(١) أولن هارمس"البيولوجيا من منظور أخر" ص١٤١ ترجمة صبحي اسكندر ،دار اللؤلؤة ١٩٨٧م.

(٢) يمكن تسمية هذه القوانين باسم السنن الإلهية ،في الكون المشاهد ،أو سنن الله في الطبيعة ،التي يمكن أن نتعامل بها لأن هذا المعني وتلك التسمية مما توجد له ظواهر نقلية منها ،قوله تعالي:**{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}** سورة القمر الآية (٤٩) ،والآية عامة حاكمة علي جميع المخلوقات ،وأنها مقدرة في علم الله تعالي الذي لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة.

(٣) سورة الأحزاب الآية (٦٢) .

النباتية طبيعة"[١] ،ثم ذكر ما يمكن أن يطلق عليه اسم الطبيعة ،وبين أنه يطلق[٢] على "ما يصدر عنه فعله من غير روية واختيار حتى يكون العنكبوت إنما يشبك[٣] بالطباع وكذلك ما يشبه من الحيوانات"[٤] ويركز ابن سينا على المعنى الأول وهو الذى يصدر عنه فعله بلا إرادة ولا قصد ولا اختيار.

ومن المؤكد أن البحث العلمي لا يكشف عن جديد لم يخلقه الله، وإنما ينبه إلي السنن الإلهية الثابتة التي تحكم قوانين الكون، وتتصرف فيه، ليكون دليلا علي أن الخالق له، العالم به هو الله سبحانه وتعالى.

يقول الأستاذ/ وحيد الدين خان: "إن الأجسام الحية تركب من خلايا حية ،وهذه الخلية مركب صغير جداً ،ومعقد غاية التعقيد ،وهى تدرس تحت علم خاص يسمى علم الخلايا cytology ومن الأجزاء التي تحتوي عليها هذه الخلايا :البروتين ، وهو مركب كيماوي من خمسة عناصر ،هي الكربون ،والهيدروجين ، والنتروجين ،والأكسيجين ،والكبريت ..ويشمل الجزيء البروتيني الواحد ألفاً من ذرات هذه العناصر !! .

ثم يتساءل قائلا: "في الكون أكثر من مائة عنصر كيميائي، كلها منتشرة في أرجائه ،فأية نسبة في تركيب هذه العناصر ، يمكن أن تكون في صالح قانون "الصدفة"؟ أيمكن أن تتركب

(١) ابن سينا "الشفاء الطبيعيات (١)السماع الطبيعي" ص٣٠ تحقيق سعيد زايد ،مركز تحقيق التراث ابن سينا ،الهيئة المصرية العامة للكتاب بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس.

(٢) الإطلاق هنا أحد الاستعمالات اللغوية وهو مفيد في بابه من حيث دلالته على ما يجئ فيه.

(٣) المراد بيشبك أن يبنى شباكه وبيوته على النحو الذى يعرفه أهل العلم به.

(٤)ابن سينا "الشفاء الطبيعيات (١)السماع الطبيعي" ص٣٠ تحقيق سعيد زايد.

خمسة عناصر –من هذا العدد الكبير– لإيجاد "الجزيء البروتيني" بصدفة واتفاق محض ؟! إننا نستطيع أن نستخرج من قانون الصدفة الرياضي ذلك القدر الهائل من (المادة) الذي سنحتاجه ،لنحدث فيه الحركة اللازمة علي الدوام ؛كما نستطيع أن نتصور شيئاً عن المدة السحيقة التي سوف تستغرقها هذه العملية"[١].ومن البديهي القول بأن ثبات السنن الإلهية يمكن اعتباره ناطقا بوجود الله ووحدانيته، وعلمه ،وإرادته.

٢– ذكر الشيخ اليوسفي : أن قوانين الطبيعة "شاهدة بأن عملية الصياغة للصفات الوراثية تجيء فيها قوة مؤثرة ،هذه القوة المؤثرة ذات علم شامل ،وقدرة فائقة ،وكل ما في الوجود مسجل في كتاب مسطور، وهو اللوح المحفوظ ،وبناء عليه فان الطبيعة وقوانينها مستخرج من دائرة الحكمة الإلهية ، والقدرة الربانية ،بما يشهد لله تعالي بالوجود و البقاء والسرمدية، وليس شيء من ذلك من إنتاج الطبيعة ،وإنما هي من ناتج القدرة الإلهية[٢]

وبناء عليه فإن صياغة هذه المبادئ خارجة عن نطاق الطبيعة، وصياغة الصفات الوراثية دالة علي الحكمة الإلهية.

٣– أن النصوص الشرعية بينت في ظاهرها ملامح الإعجاز العلمي، حين ذكرت أن الصفات الوراثية من السنن الإلهية ،وأنها تنموا مع

(١) الأستاذ وحيد الدين خان "الإسلام يتحدى" مدخل علمي إلى الإيمان ص٨٧ تعريب د/ظفر الإسلام خان ،مراجعة وتحقيق د/عبد الصبور شاهين ،مكتبة الرسالة.

(٢) الشيخ محمود بن حسن بن صالح اليوسفي "الكون المنظور ودلالاته علي وجود الله تعالي" ص٧١ تحقيق ودراسة د/ محمد صالح حسن ،ط١ ،مكتبة العصر ١٩٩٨م.

البناء النطفي ،ابتدأ من مراحله الأولي، يدل عليه قوله ﷺ ،عن أنس رضي الله عنه ،أن عبد الله بن سلام ،بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء ،فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أول أشراط الساعة؟ ،وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ،وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ ،قال: «أخبرني به جبريل آنفا» قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

قال: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ،وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ،وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد» قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

قال يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت فاسألهم عني ،قبل أن يعلموا بإسلامي ،فجاءت اليهود فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا ،وأفضلنا وابن أفضلنا ،فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام» قالوا: أعاذه الله من ذلك ،«فأعاد عليهم»، فقالوا: مثل ذلك ،فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله"[1].

قال د/محسن فوزي : أن هذا الحديث فتح بابا للبحث العلمي ،ثبت من خلاله أن فكرة المتنحي والسائد هي من السنن الإلهية ،وان الله تعالي لما خلق آدم وحواء ، وجعل البلازما التناسلية والجسدية ليكون كل منهما تجري عليها أحكام السائد والمتنحي ،فإذا كان السائد القوي في ماء الرجل

(١) الإمام البخاري "صحيح البخاري " ج٥ ص٦٩ رقم الحديث (٣٩٣٨) .

،فإن الصفات التي تجيء مع أبنائه تكون سائدة بنسبة(١:٢) أما إذا كان السائد هو القائم في ماء المرأة بتلك النسبة أو بنسبة(١:٢)فإن الذي سيولد سيحمل صفات أمه علي أنها الأقوى ،وهذا من الإعجاز العلمي في السنة المطهرة(١).

٤- الواضح أن فكرة السائد والمتنحي ترد بقوة علي قول التطوريين، ومزاعمهم في أن الطبيعة هي التي تتولي صياغة الصفات الوراثية ، وحيث اثبت العلم أن صياغة هذه الصفات مردها إلي علم الله تعالي، وما هو ثابت في سننه ،فإن أقوال الطبيعيين تكون حجة عليهم تدفع إلي الإيمان بالله الواحد الأحد ،وتحث علي ضرورة الإقرار بأن ما في الكون جميعه هو من صنع الواحد القهار قال تعالي:**{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ}**(٢).

يقول الشيخ أبو منصور الماتريدي في تفسير الآية: "ما ذكر من خلق السماوات والأرض وما بث من الدواب ،وما أنبت من كل زوج كريم، وقوله: (فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)يُذَّكر سُفههم ،يقول: إنكم تعلمون أن ما ذكر من السماوات والأرض، وجميع ما فيهما – هو كله خلق الله ، وأنه هو خالق ذلك كله ،وأن الأصنام التي تعبدونها من دونه لم تخلق شيئًا من ذلك ،ولا تملك خلق شيء ؛فكيف تعبدونها من دونه وسميتموها: آلهة ،وصرفتم العبادة والألوهية عن الذي خلقكم وخلق السماوات والأرض وما فيهما؟! وإنما يستحق الألوهية والربوبية لخلقه ما ذكر ؛ فالأصنام: إذا لم يكن منها خلق ؛فكيف سميتموها: آلهة

(١) د/ محسن فوزي السيد "السنة النبوية تدافع عن نفسها" ص٨٥ ط المكتب العصري ١٩٩٩م .
(٢) سورة لقمان الآية (١١) .

وعبدتموها دون اللَّه؟! (فَأَرُونِي ماذا خلق الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) فهو يخبر عن سفههم وقلة معرفتهم ،وسرفهم في القول والفعل ،واللَّه أعلم"[1].

٥- أكثر التطوريون من الحديث عن الصائغ الكوني ،وأرجعوه إلي فعل الطبيعة تارة ،وإلي أحكامها وقوانينها تارة أخري ،مع أن قوانين الطبيعة ليست ثابتة بدليل أن الدراسات التي زعموها يتم التعديل في نتائجها حيناً بعد حين حتى صار الإنسان حائراً بين ما عرفه ،وما يتم اكتشافه، فلو كانت صياغة الصفات الوراثية من فعل الطبيعة ما وقع فيها تعديل ،لأنها لا تعدل شيئا، وإنما المعدل هو الخالق العظيم وهو الله جل علاه.

يقول الشيخ سلطان : إن الطبيعة تشهد بوجود الله ،وأن الكون صنعته وصانعه هو الله ؛لأن الطبيعة مخلوقة وليست خالقة، وممكنه وليست واجبة والمرسلون بلغوا أممهم تلك الحقيقة ، وأنه لا خالق إلا الله ،وبناء عليه فمن زعم قدرة الطبيعة علي صياغة قوانين ،أو صياغة صفات فإنه يستحق الاسترحام[2] لعقله الذي نسى القواعد العامة ،وتجاهل الأصول الثابتة.

ويشهد لهذا قوله تعالي:**{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ**

(١) الشيخ أبو منصور الماتريدي "تأويلات أهل السنة "ج٨ ص٢٩٩-٣٠٠ تحقيق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط١،١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م. ويقول الشيخ السمرقندي في معني الآية : هذا خَلْقُ اللَّهِ ، أي: هذا الذي خلقت أنا ، فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ يعني: الذين تدعونه إلها مِن دُونِهِ يعني: الأصنام. ويقال: هذا خلق الله. يعني: مخلوق الله. ويقال: هذا صنع الله. ثم قال: بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ أي: الكافرون في خطأ بيّن، لا يعتبرون ولا يتفكرون فيما خلق الله عز وجل فيعبدونه ويقال في ضلال مبين يعني: في خسران بيّن. الإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (٣٧٣هـ) "بحر العلوم" ج٣ ص٢٢.

(٢) الشيخ محمود السيد سلطان "العقيدة الإلهية ومصادرها النقلية "ص١١٣،ط الشباب بالقاهرة ١٩٣٨م .

الَّـذِينَ مِـن دُونِـهِ بَـلِ الظَّـالِمُونَ فِـي ضَـلاَلٍ مُّبِـينٍ}[١] وحيث أثبتت الدلائل النقلية والعقلية والتجريبية ،أن صياغة الصفات الوراثية من السنن الإلهية ،فإن الأقوال التي جنح إليها التطوريون ،وعلي أساسها أعطوا الطبيعة صفات الله تعالي[٢] ،لم يكونوا موفقين لا في العرض ،ولا في التناول ،ولا في الاستغناء أيضاً.

المرحلة الثالثة: التوزيع المتكافئ:

أ-العرض:-

وتقوم هذه المرحلة في أن الطبيعة بعد أن انتخبت وصاغت ووضعت كل ذلك في مجموعتين فإنها تسعي لمرحلة جديدة تضيف فيها تلك الكائنات الحية بنسب محكمة متعادلة ، يستوي في ذلك كل كائن استقلالا وكل نوع بأفراده.

يقول انطونيو فرانسيس: إن التوزيع المتكافئ للعوامل وُضع في إطار تمت صياغته علي ناحية برزت فيها الجاميات بشكل صحيح ،متى أمكن النظر فيها بلغت النتائج الصحيحة ومتى نظرنا إلي الإنسان مثلاً تبين أن الطبيعة لا تخطئ ،وأنه ليس هناك نظام أخر غير ما تمليه الطبيعة[٣].

بدليل أن الإنسان المعاصر عرف الانقسام الاختزالي الذي يحدث أثناء تكوين البويضات والحيوانات المنوية، ومجموعها يطلق عليه اسم الجاميات حيث يقوم الانقسام الاختزالي بفصل أزواج الصبغيات المتماثلة

---

(١) سورة لقمان الآية (١١).

(٢) صفات الله تعالي ذاتية ثابتة له جل علاه ،فلا يمنحها له أحد ولا يعطيه إياها أحد ،فهو جل علاه بذاته وصفاته وأفعاله لا مثيل له ولا شبيه ولا ند ،وهي الحقيقة التي نلقي الله تعالي عليها .

(٣) هذه الأفكار تتكرر كثيراً في الفكر التطوري الأحيائي البعيد عن الشرع الإلهي ،وبالتالي فهم يقصدون الاصطدام بالنصوص الشرعية .

"الكروموسومات" ،ثم يختزل عددها إلي النصف في كل جامية علي حدة، وهو اختزال مقصود يجري في كل الكائنات الحية المتشابهة ،ويعطي التناسليات صورها الطبيعية دون حاجة إلي شيء أو قوة وراء ذلك[١] ،وبالتالي فهم ينكرون الغيبيات كلها ،كما يرفضون الإقرار بوجود الله تعالي.

ويحاول هؤلاء توضيح تلك المرحلة ضاربين المثال بالتناسليات الإنسانية، فيقولون: أن الحيوان المنوي في الإنسان يتكون من ثلاث وعشرين زوجاً صبغيا "الكروموسومات" في كل من الرجل والمرأة ،ومجموعهما معاً هو العدد ستة وأربعين ،ويصنف الأول منه علي أنه حيوان منوي للرجل ،ثم تأتي البويضة هي الأخرى متكونة من ثلاثة وعشرين زوجاً صبغياً ، ومجموعهما يمثل الخلية الأولي في البناء الحيوي بالنسبة للإنسان، وبهذا يظهر التوزيع المتكافئ للخلايا الإحيائية[٢].

أجل إن مشكلة هؤلاء تكمن في اعتقادهم وجود الطبيعة وبعدهم عن خالق الطبيعة، ومرد ذلك إلي ما في عقولهم من معلومات غير صحيحة عن عقيدة الألوهية التي صدقت بها العقول السليمة، ونطقت بها الفطر الصحيحة وليس لهؤلاء عذر أما لماذا؟

فلأن الله تعالي فطر العقول الصحيحة علي معرفته ،وأقام الفطر السليمة علي توحيده ،وجعل ذلك هو الدين الذي ارتضاه ،يدل عليه ظاهر

(١) راجع انطونيو فرانسيس "علم الخلايا والهندسة الوراثية" ص٧٠-٧١ ترجمة د/حسن شوقي مراجعة أ/فوزي اسكندر ،بيروت ١٩٨٨م.

(٢) د/ عبد العظيم محمد الطماوي "البيولوجيا وخطط المستقبل" ص٥٤ ط١ ،الدار الجديدة ١٩٨١م

قوله تعالي:**{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}**(١).

يقول الشيخ ابن عطية: "فطر الله الناس علي الإيمان ،وقال لهم اتبعوا دين الله الذي خلقكم جميعا عليه ،وهو دين الإسلام الذي يبدو فيه إقامة الوجه وتقويم المقصد والقوة علي الجد في أعمال الدين"(٢).

وهذا المعني اتجه إلي العقل الواعي ،والحواس المتكاملة ، ودخل في الخطاب أمة سيدنا محمدﷺ دخولاً أولياً ،وبناء عليه تكون الفطرة السليمة شاهدة علي انه ما ذهب إليه التطوريون في الوراثة لا يتفق مع النصوص الشرعية.

ويؤكد العلامة القرطبي: أن الفطرة الإلهية قاضية بإحالة الخلق كله إلي الله تعالي ،وما يجري فيه إنما هو بأمره جل علاه ، فالفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في معرفته بربه(٣).

وبناء عليه فان الفطرة التي فطر الله الناس عليها هي التي يقوم فيها التمايز للأفراد طبقا للشريعة الإلهية ،والفطرة الربانية ، باعتبار أن الفاطر للكل هو الله سبحانه وتعالي ،وهو اتجاه فيه رد علي أولئك التطوريين وغيرهم.

ولا تبديل لهذه الفطرة من جهة الخالق ،ولا يجيء الأمر علي خلافها أبدا ،لأن كل ذلك مقدر عنده ثابت في علمه، والمعتقد له

(١) سورة الروم الآية (٣٠) .

(٢) الشيخ ابن عطية "المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز" ج٤ ص٣٣٦ ،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط١،دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٤٢٢ هـ

(٣) العلامة القرطبي "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن" المجلد السادس عشر ،ص٤٢٥ تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ،مؤسسة الرسالة .

هو الفائز إن شاء الله تعالي.

ب-المناقشة:-

يعتبر الحديث عن التوزيع المتكافئ كمرحلة من مراحل الوراثة علي ما يقول به التطوريون من المسائل التي يلتفت إليها العقل الواعي ،أما لماذا؟ فلأن التطوريين يعتقدون أن التوزيع المتكافئ جاء عقب صياغة الصفات الوراثية التي تقوم بها الطبيعة، ويتعلق هذا التوزيع بالجاميات والبويضات ، وعمليات الانقسام دون حاجة إلي خالق ،وسوف أناقش تلك المرحلة من خلال ما يلي :-

١- الجانب الإحيائي وهو الذى يذهب إليه كثير من الإحيائيين مؤكدين أن التوزيع المتكافئ للصفات الوراثية مرده إلي نظام ثابت أجراه الفاعل علي تقدير لا يمكن أن تخطئه عين فاحصة ،ولا عقل سليم[١] ،ومن ثم فإن ،الاعتقاد الصحيح يتجه إلي وجود قوة الله تعالي وقدرته وعلمه وإرادته ،وليس الي قوانين الطبيعة أو أحكامها.

يقول د/حسين سليمان: "لا أعتقد أحيائياً أن ما نشاهده في الكائنات الحية ،ونحن نبحث أطرافها وأجزاءها ،بل أمعاءها أنها وليدة الطبيعة ،بل هي مصنوع القدرة الإلهية وناتجها إذا صح التعبير ،وبناء عليه فان من ينظر إلي أطراف الإنسان مثلاً ،

(١) هذه القواعد في حد ذاتها كفيلة بالرد علي من يزعمون عدم الاحتياج إلي الله تعالي فكأن الإحيائيين يناقش بعضهم بعضا ،ويهدم بعضهم فكرة مخالفيهم ،واعتقد أن ذلك من السنن الإلهية أيضا ،وداخل في نطاق الدفاع عن العقيدة الإلهية. الدكتور محمود صبحي "العقيدة الإسلامية والتيارات المعاصرة" ص٨١ ط المنتزه ١٩٩٨م .

أو إلي القوي الإدراكية ،أوالحركية يدرك أن هناك نظاماً إلهياً يحكم ذلك البناء من النواحي النفسية والجسمانية ،والعقلية وغيرها، "وهذا النظام هو الذي يمكن التعبير عنه بقوة الخالق العظيم ﷻ"(١) ، وبناء عليه يكون التوزيع المتكافئ لتلك القوة من ملامح إثبات القدرة الإلهية.

٢- أن عمليات الانقسام الاختزالي التي تحدث أثناء تكوين البويضات والحيوانات المنوية (الجاميات) لا تتم إلا علي صورة دقيقة منظمة تختلف في الإنسان عن الحيوان ، فلو كانت الطبيعة هي التي قامت بهذا التوزيع المتكافئ ما أمكن التمييز بين الإنسان والحيوان.

يقول د/ جلال خضر : "إن البناء الإنساني منذ آدم إلي يومنا هذا والي قيام الساعة اقتضت حكمة الله تعالي أن يكون بناؤه المنوي من مجموع البويضة الأولي المخصبة من الرجل والمرأة، ويأتي ذلك بنسب ثابتة لا تخطئها عمليات البحث العلمي ،وقسمة لا تقبل التجاوز مع أن هذه البويضة الأولي مكوناتها تتمثل فيها ثلاث وعشرون زوج صبغي من الرجل ،ومثلها من المرأة ،وبالتالي فالتماثل في العدد يعبر عن التوزيع المتكافئ الذي يقوم عليه البناء الأول للخلية الأحيائية في الإنسان"(٢). وذلك من السنن الإلهية قال تعالى:{ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ

(١) د/حسن سليمان صالح "الإنسان في المستوي الإحيائي "دراسة في البناءات والهياكل العضلية ص٩٤-٩٥ مكتبة الشرق الأوسط ١٩٩٨م

(٢)د/ جلال خضر "الإنسان الذكر والأنثى في المرآة العلمية والنصوص الشرعية" ص٨٥-٨٦ مطبعة المجد ١٩٩٣م.

الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ}[1].

يقول الفخر الرازي: "أن دلالة تولد الإنسان عن النطفة على وجود الصانع المختار من أظهر الدلائل لوجوه أحداها: أن التركيبات العجيبة في بدن الإنسان أكثر ،فيكون تولده عن المادة البسيطة أدل على القادر المختار وثانيهما: أن اطلاع الإنسان على أحوال نفسه أكثر من اطلاعه على أحوال غيره ،فلا جرم كانت هذه الدلالة أتم ،وثالثهما: أن مشاهدة الإنسان لهذه الأحوال في أولاده وأولاد سائر الحيوانات دائمة ،فكان الاستدلال به على الصانع المختار أقوى"[2] ،وبهذا يكون الفخر قد ألجم الطبيعيين ،ومن معهم وقيض شبهاتهم مما يدل على أن المفكر المسلم يملك الإبداع ،ويستطيع رد المخالفين بأدلة تجيء على شبهاتهم فتجتثها ،ومن المناسب في الوقت الحاضر استدعاء فكر الرازي وأدلته لتكون في مواجهة هؤلاء ،ويحقق المصلحة المشروعة.

و من المناسب القول بأن مشكلة (التوزيع المتكافئ) هي الأخرى يمكن أن تعلن بوضوح عن وجود الله تعالي، كما تشهد بعلمه وقدرته، وأنه القيوم، وانه الواحد الأحد.

٣- أن عملية التوزيع المتكافئ لا تقتصر علي الجانب البنائي في الإنسان ،وإنما الجانب التوظيفي الأدائي أيضاً ،فالملكات لا تنفصل عن الآلات يقول د/ حسن عبد الحميد رضوان: إن الباحث الإحيائي يجد التوزيع المتكافئ يؤدي دوره في

(٤) سورة الطارق الآيات (٥-٧)

(٢)الفخر الرازي (٦٠٦هـ) " مفاتيح الغيب"ج٣١ ص١٢٠ ط٣،دار إحياء التراث العربي ١٤٢٠

الإنسان وهو شاهد علي انه مخلوق لله تعالى ،ومن الشواهد عليه انه في الغالب الأعم يكون بأذنين للسمع ،وعينين للنظر ،وفتحتي أنف للتنفس الصحيح ،وهذا في حد ذاته شاهد علي عملية التكافؤ الأمثل ،ويقرر أيضاً أن العقل الإنساني مهما أوتي من قوة فإنه ملزم بالإصغاء إلي صوت الفطرة الذي ينادي بلسان الحال والمقال ،فتبارك الله أحسن الخالقين(١).

أجل لقد امتن الله تعالى على الإنسان بتلك النعم فقال جل شأنه:{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}(٢)

وقوله سبحانه وتعالى:{وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(٣)

وبهذا تكون عملية التوزيع المتكافئ من صنع الله ، وليست وليدة القوانين الطبيعية بحال من الأحوال ،وتعتبر تلك التوضيحات بمثابة الدلائل علي ما نذهب إليه ويهدم الفكر التطوري من جميع جوانبه.

لقد نبه إلي هذه المسألة الكثيرون من مفكري الإسلام ، يدل عليه أن المتكلمين في مؤلفاتهم العديدة يقررون تلك الحقيقة من خلال عبارات غاية في الوضوح والدلالة ،كما يؤكدون علي قاعدة عامة ،هي أن وحدانية الله تعالي يشهد بها ،ويعلنها ،ويسبح بها

(١) د/ حسن عبد الحميد رضوان "أين الإنسان من المنظومة الكونية " ص١٠٥-١٠٦ مطبعة حسام بالقاهرة ١٩٦٦م .

(٢) سورة البلد الآيات (٨-١٠)

(٣) سورة النحل الآية (٧٨)

كل ما في الكون ،ثم ينتهي الأمر إلي أن الوحدانية فيها إعلان عن حقيقة الوجود ،وحقيقة واجب الوجود ،وأنه تعالي الواحد الأحد المعبود.

يقول الشيخ الأمير: إن وحدانية الله تعالي تعني عدم النظير ،وهو نفي الكم المنفصل ،والكم العدد ،إلي غير ذلك ،ويؤكد علي أن القدرة تتعلق بالممكن ولا تتعلق بغيره ،وبناء عليه تقرر لدية أن الوحدانية تبطل ما عداها[1] ؛لأن الوحدانية صفة ثابتة لله تعالي ،فتبطل جميع ما عداها من الكموم الستة[2] على ما ذهب اليه أهل العلم.

٤- أن مفكري المسلمين وهم يتناولون هذه المرحلة أكدوا علي القواعد العامة التي تثبت الخلق والإرادة لله تعالى ، كما تثبت العلم والقدرة إليهﷻ ،وبالتالي تكون المسألة معروضة بين ما هو مفروض يجب الأخذ به ،وما هو مردود يجب التخلص منه ، والتخلي عنه.

وبناء عليه تكون عمليه التوزيع المتكافئ من الأدلة التي يمكن توظيفها لدي علماء الكلام ،والاستفادة بها من الناحية

(١) الشيخ محمد بن محمد الأمير "حاشية محمد الأمير علي شرح عبد السلام بن ابراهيم المالكى لجوهرة التوحيد" ص٧٣ ،الحلبي ،١٣٦٨هـ ١٩٤٨م .

(٢) الكموم الستة هي: كمان للمتصل ومثلهما في المنفصل في الذات والصفات والأفعال ،فيكون المجموع المعبر عنه بالكموم الخمسة ،أو الكموم الستة علي ما يذهب إليه المفكر المسلم .راجع للشيخ إسماعيل الحامدى "حواش على العقيدة الصغرى" ص١٩،وللشيخ مصطفى العقباوى "حاشية العقباوى على شرح عقيدة الدردير" ص٢٩ المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٦هـ على نفقة الشيخ محمد على المليجى الكاتبي ،وللشيخ محمد نووى الفضالى كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام ص٤١ بهامش تحقيق المقام لشيخ ابراهيم الباجوري طبعة الحلبي الأخيرة ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م

النفسية ، والاجتماعية ،والإحيائية أيضاً ، وكلها تشهد بوجود رب البرية ، وأنه تعالي صاحب الخلق والأمر ،وكل شيء مرده إليه خلقاً ، ورزقاً ،وأحياءً ،وإماتةً ،له الملك ،وله الحمد ،وهو علي كل شيء قدير ، والفطرة شاهدة بهذا كله علي العديد من الجوانب المعرفية.

المرحلة الرابعة: الطفرات المشيجية:

أ–العرض:–

يعتقد التطوريون ان الوراثة تأتي من طريق الطفرات المشيجية ،أما لماذا؟ فلأنهم يتحدثون عن جملة من الطفرات[١] ، وتتعدد الطفرات من جينية إلي صبغية ومن تلقائية إلي مستحدثة ، ومن تلقائية ومستحدثة إلي تناسلية ومشيجية وجسمية وغيرها[٢].

ويذهب التطوريون إلي أن الطفرات المشيجية تقوم بعمل هائل في إحداث عمليات أحيائية ،تمكن للعناصر الأقوى في البقاء، كما تؤكد علي أن هذا الدور لا يقف عند مجرد التمييز ، وإنما ضرورة التوريث أيضاً ،ويؤكدون علي أن علم الوراثة في الجينات فيه إعلان صريح عن قضية التطور العضوي ،ودورها في التوارث السلالى.

يقول انطونيو فرانسيس: "إن الطفرات تؤدي دورا كبيرا في

(١) الطفرة الإحيائية هي: التي تبدو في الكائن الحي عن طريق إحداث تغيرات مفاجئة في الصفات الوراثية ،بحيث يؤدي ذلك إلي وجود مواليد جديدة ،قد تختلف عن الأبوين في العديد من الوجوه لكنها في الأصل تعبر عن حدوث تحولات ،وانقلابات طارئة في البناءات الجينية. د/ كمال محمد العتر "دراسات في علم الأحياء" ص١٦٥ ط ١، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٦٧م .

(٢) د/علياء محمد الفقي "ماندل وقوانين الوراثة" ص٣٧ ،د/حسن السيد عبد الظاهر "الهندسة الوراثية وملامح المستقبل" ص٤٨ ط المكتب العصري ١٩٩٣م.

الوراثة ،كما أن الجينات تدعم قضية التوارث السلالى الذي يتم في الأجيال المتعاقبة ،ويدفعها التطور السريع في ذاته، البطيء في حركته من خلال مظاهره ،بحيث يبلغ تلك الغاية ،ومن المؤكد أن الإنسان مع القردة العليا يشتركان في هذا الجانب ،وعلي الأخص القرد الشمبانزى الذي يمثل قمة التطور في الجنس الحيواني حتى يسلمه لإنسان هو أرقي الكائنات الحية وهو قمة النشاط الوراثي في أنواعه المختلفة(١).

علي كلٍ فإن التطورين يعتقدون أن الطفرات لها دور كبير في التوارث السلالي ،بل جعلوها بديلاً عن الله جل علاه ،وتلك مشكلتهم وسوف يعانون منها ما داموا لم يعترفوا بوجود الله تعالي ، ولم يقروا بأن كل ما في الكون إنما هو من فعل الله ،ويجب رده إليه جل علاه.

ب-المناقشة:-

من المؤكد أن فكرة الطفرات المشيجية التي يعتقد التطوريون أن الوراثة تأتي عن طريقها ،لا عن طريق الفعل الإلهي ، تحتاج المعالجة العلمية ،والموضوعية، أما لماذا؟ فلما هو مشهور من أن الأبحاث النظرية تفرض سطوتها علي الحقائق العلمية تحت زعم أن نتائجها يقينية ،وهو زعم خاطئ ،وتوجيه غير رشيد ،وسوف أناقش تلك المرحلة علي النواحي الآتية:-

١- أن فكرة الطفرات المشيجية ليست محل إجماع من الإحيائيين أنفسهم أما لماذا؟ فلاختلافهم حول التسمية ،وهل تسمى طفرة

(١)انطونيو فرانسيس "علم الخلايا والهندسة الوراثية" ص٩٣ ،د/فوزي حسن صفوت "علم الوراثة وعلاقته بهندسة الجينات" ص١٤١ ،مكتبة مختار ٢٠٠٣م.

أم ظفرة[١] ،وهل تسمى مشيجية ،أم تسمى نسيجية.

وبناء عليه فهل يعتبر ما ذكره الأحيائيون بمثابة الحقائق العلمية ،أو أن ما انتهوا إليه يمثل حقيقة علمية ،أعتقد أن هذا الجانب يقضي علي فكرة الاعتقاد بأن الطفرات المشيجية لها دور في قوانين الوراثة الإحيائية ،والقاعدة أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال[٢].

وبناء عليه يكون اعتماد التطوريين علي الطفرات المشيجية ، وأنها أصل الوراثة بعيدا عن القدرة الإلهية اعتقاد خاطئ وفهم فاسد، وإجراء ساقط لا محالة.

٢- أن التطوريين يعترفون بتعدد الطفرات ،وانتقالها من جينية إلي صبغية ومن تلقائية إلي مستحدثة ،ثم إلي تناسلية ، ومشيجية وجسمية وغيرها[٣]، السؤال الآن هل هذا التعدد في الطفرات يمثل مراحل ،أم يمثل التنوع ؟ فإن كان يمثل مراحل فهو بحاجة إلي الله تعالي حتى تكون الطفرات علي سبيل الترتيب، وهو المشار إليه بقوله تعالي:**{وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}**[٤]

وقد ذهب الفخر الرازي إلى أن الآية الكريمة يستدل بها على تعظيم الله تعالى وتوحيده وذكر أطوار هذا الخلق فقال: "خلقكم أولا

---

(١) الأحيائيون يذهبون إلي أنها تسمى ظفرة ،ويرجعون ذلك إلي عوامل خارجية تؤثر فيها ،دون أن تحدث شيئا مخالفاً للقواعد الثابتة ،أما الذين يعتقدون أنها تسمى طفرة يرجعون ذلك إلي نشاط داخل الخلية الإحيائية ذاتها ،وما يزال الأمر محل دراسة بين الإحيائين علي المستوي العلمي . د/ صبحي السيد الجمل "قوانين الوراثة على المحك الأحيائي" ص٧٣ ط مكتبة العربي ٢٠٠٥م .

(٢) هذه القاعدة "سقوط الاستدلال إذا تطرق للدليل الاحتمال" ،يعنى بها المفكرون علي اختلاف مستوياتهم ،ولذا تعتبر من القواعد العامة التي يتم الاحتكام إليها.

(٣) راجع د/علياء محمد الفقي "مندل وقوانين الوراثة " ص٣٧.

(٤) سورة نوح الآية ١٤

ترابا ،ثم خلقكم نطفا ،ثم خلقكم علقا ،ثم خلقكم مضغا ، ثم خلقكم عظاما ولحما ، ثم أنشأكم خلقا أخر"[١] .

وإن كان التعدد في الطفرات يمثل التنوع فهو المشار إليه بقوله تعالى:**{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}**[٢].كما أن عملية الخلق هذه مقدرة في علم الله الأزلي بجميع مراحلها وما يتعلق بها ،وبناء عليه يكون ما ذهب إليه التطوريون من نسبة الخلق إلي غير الله باطل لا يقوم الا علي الظن والتخمين.

بل إن التعدد في الطفرات يمكن أن تثبت به صفات الله تعالى ، ومنها القدرة ،والإرادة ،والعلم باقية وعاملة علي الدوام[٣] ، وبهذا يثبت أيضاً أن فكرة الطفرات المشيجية لا تؤدي بذاتها إلي توريث الصفات من الناحية السلالية.

٣- قامت فكرة الطفرات علي أنها التي تؤدي دورا كبيرا فيما يتعلق بالحفاظ علي العناصر الأقوى ،والسؤال الآن ما بالنا نشاهد أقوياء أسقطهم ضعفاء ،وهل هناك أضعف من الفيروس الذي لا يري بالعين المجردة ،ويقضي علي مصارع[٤] ربما لو ضرب بقبضته منضدة حطمها.

يقول الدكتور سلطان: "ثبت أن في عالم النمل نوعاً يسمى النمل المفترس ،يمكنه أن يقضي علي الأسد ،رغم أن الأسد ملك الغابة ،والنمل حشرة ضعيفة ،فكيف قضت هذه الضعيفة علي ذلك الأقوى وأين قوانين

(١) الفخر الرازي "مفاتيح الغيب" ج٣٠ ص٦٥٣

(٢) سورة الفرقان الآية: (٢).

(٣) يمكن مراجعة الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الشأن ،وأقوال المفسرين فيها ،لأن التوسع بشأنها يحقق نتائج إيجابية .

(٤) هذه المسائل صارت معلومة للجميع لا تحتاج المزيد، كما لا تحتاج أدلة جديدة عليها.

الوراثة ؟"[١]

بل ثبت أن بعض النمل يملك القدرة علي التهام حصان جامح وسبع مفترس جارح ،ويعرف هذا النوع باسم النمل القاتل[٢]. فأين ذلك من قوانين الوراثة الأحيائية؟

وبناء عليه فلا تكون للطفرات المشيجية القدرة علي إنشاء الوراثة ،أو القيام بها فضلا عن أن يكون لها دور في خلق الإنسان ،أو التوارث ،السلالي وإنما الخلق كله مرده إلي الله تعالي.

٤- اعتقد التطوريون أن الإنسان كان في الأصل كائنا أحادي الخلية وأخذ في الترقي حتى بلغ القردة العليا ،ثم صار إنساناً، والسؤال الآن أين دور الطفرات المشيجية هل تعطل عملها؟ وإذا كان عملها موجوداً فلمَ لم يترقى الإنسان إلي مرحلة أعلي، إن الذي نعتقده ونتمسك به ،وندافع عنه هو الذي جاء به الذكر الحكيم في قوله تعالي:**{وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**[٣].

قال الشيخ الجمل: إن الله تعالي لما خلق الخلق جعل فيهم الذكر والأنثى ثم جعل كل نوع منهم ،يمتد إلي مثليه بسبب ، ويرجع إليه بقاعدة ،وهذا السبب هو القائم في العلم الأزلي ،بحيث لا يختلف ،طالما كان الكون في مرحلة البقاء التي جعلها الله تعالي ، تحت اسم الحياة الدنيا[٤].

وبناء عليه فإن الحقيقة المؤكدة هي قيام كل شيء بأمر الله

(١) د/ نور الدين محمود سلطان "علم الحشرات بين الحقيقة والخيال" ص٢١٦-٢١٧ مطبعة النيل ١٩٩٩م .

(٢) د/ثناء محمود سلطان "علم الحشرات وكيفية التعامل معه" ص٧٥ ،مكتبة الفهد ،٢٠٠٥م .

(٣) سورة الذاريات الآية (٤٩)

(٤) الشيخ محمود صالح حسن الجمل "هذا خلق الله" ص٨١ ،مطبعة الدار القومية ١٩٩٨م.

واستمراره في علمه جل علاه ،وسنن الله تعالي لا تتخلف ،وما يذهب إليه التطوريون مرجعه إلى الخيال ،وليس له سند من الحقيقة العلمية ،بل ان كل ما في الكون قائم في أدلة العناية والغاية والانتظام.

وقد جاءت الإشارة القرآنية إلي حقيقة أن الوراثة عملية مردها إلي الله تعالي في آيات منها، قوله تعالي: **{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}** (١).

قال العلامة القشيري في معني الآية الكريمة: أي لم يأت عليه وقت إلا كان مذكورا إليّ ،ويقال: هل غفلت ساعة عن حفظك؟ هل ألقيت- لحظة- حبلك على غاربك؟ هل أخليتك- ساعة- من رعاية جديدة وحماية مزيدة(٢).

وفيه بيان أن الخلق الأول وما يترتب عليه قائم في علم الله تعالي ورعايته وحفظة وعنايته ،ثم بينت الإشارة القرآنية أن خلق أنسال الإنسان كلها قد جاءت بعلم الله تعالي وقدرته وحفظه وعنايته ،ابتداء من النطفة وهي قطرة الماء ،ثم الأمشاج وهي الأخلاط التي جعلها الله تعالي تتوافق بين ماء الرجل وماء المرأة ثم جرت سنته تعالي أن يكون أمر هذه الأمشاج في أطوار ،طور نطفة وطور علقة ،وطور عظاما ،وطور لحما، ثم خلق الله له

(١) سورة الإنسان الآيتان :(١-٢)

(٢) العلامة القشيرى "لطائف الإشارات" المجلد الثالث ص٦٦٠ تحقيق د/إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م، وبالتالي ففي الإشارة دلالة واضحة علي الخلق والعناية والحفظ والرعاية الربانية.

تعالي وسائل الإدراك ،والحس والمعرفة[١]،فقال الله تعالي:**{فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}** [٢]

لقد جاء الحديث عن الأمشاج ،وفيها تكمن جملة الصفات التي تبرز إرادة الله تعالي وقدرته معبرة عن المهام التي تقوم بها ،وسيلتها البلازما التناسلية التي يسلمها الرجل للمرأة ،ثم تقوم هي بمنحها البلازما الجسدية طبقا لما هو قائم في السنن الإلهية ، وثابت من ناحية علمه الأزلي ،وخلقه المحتم داخل القرار المكين[٣] وهذا ما يشهد بوجود الله تعالي ووحدانيته وانه علي كل شيء قدير.

أجل لقد فطن مفكرو المسلمين إلي هذه المسائل ، وأطلقوا عليها في جانب الأدلة ،اسم دليل الخلق ،وقد ذكر ابن رشد أن هذه هي الطريقة الشرعية فيقول: "الطريق التي نبه الكتاب العزيز عليها ودعا الكل من بابها إذا استقرئ الكتاب العزيز وجدت تنحصر في جزءين: **أحدهما:** طريق الوقوف على العناية بالإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجلها ولنسمي هذه دليل العناية ، **الطريقة الثانية:** ما يظهر من اختراع جوهر الأشياء الموجودات مثل اختراع الحياة في الجماد ،والإدراكات الحسية ،

(١) هذه السنن الربانية ،واردة في الآيات القرآنية منها قوله تعالي:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} سورة المؤمنون الآيات(١٢-١٤).

(٢) سورة الإنسان الآية: (١) .

(٣) الدكتور محسن السيد عبد العاطي "هذا خلق الله" ص٧٧ ط القاهرة ١٩٩٨ ،وراجع للدكتور فوزي السيد صقر "خلق الإنسان بين الترائب و الأمشاج" ص٦٥ ط المنتزه١٩٩٩م.

والعقل ولنسمي هذه دليل الاختراع"[١].

ثم أخذ في بيان كل من طريق العناية والاختراع فزكر أن طريقة العناية تنبني على أصلين[٢]: " أحدهما: أن جميع الموجودات التي هاهنا موافقة لوجود الإنسان والأصل الثاني: أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق"[٣]. وبهذا يكون أبو الوليد قد أبطل القول بوجود كائنات اتفاقا ،أو مصادفة لان الاتفاق والمصادفة لا يمثلان العناية ،وبهذا يمكن توظيف جهوده في إبطال مذاهب هؤلاء واثبات وجود الله سبحانه وتعالى وأنه الفاعل المختار وكل شيء يرد إليه.[٤]

ثم أخذ أبو الوليد في بيان دليل الاختراع وذكر أنه يدخل فيه وجود الحيوان والنبات والسماوات ،و أنها تنبني على أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس "أحدهما أن هذه الموجودات مخترعة وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات"[٥] ،واستدل عليه بظاهر قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا

(١)أبو الوليد بن رشد ،الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والبدع المضلة ،ص٦٥ ،وبأسفل الصفحات مناقشات شيخ الإسلام بن تيمية ،تحقيق مصطفى عبد الجواد عمران ،المكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة .وهوضمن كتاب بعنوان ابن رشد احتوى على فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال وبعده كتاب الكشف عن مناهج الأدلة الذى رجعت إليه وأخذت منه.

(٢)استخدام كلمة أصلين هو الغالب على المؤلفات الأصولية ويعتبر ذلك من ابجدياتها ،ولذا فإنه عند استعماله يراعى وجوده في المكان الذى ورد به

(٣) ابن رشد "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة" ص٦٥.

(٤) من يراجع للإمام الغزالي الحكمة في مخلوقات الله أثناء حديثه عن الحكمة من خلق الإنسان يجد ذلك واضحا على جوانب كثيرة.

(٥)ابن رشد "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة" ص٦٦

وَلَـوِ اجْتَمَعُـوا لَـهُ وَإِن يَسْـلُبْهُمُ الـذُّبَابُ شَـيْئًا لاَّ يَسْـتَنقِذُوهُ مِنْـهُ ضَـعُفَ الطَّالِـبُ وَالْمَطْلُـوبُ}[١]،ثـم يقـول: "الأصـل الثـاني هـو أن كـل مختـرع فلـه مختـرع فيصـح مـن هـذين الأصـلين أن للموجـود فـاعلا مخترعـا لـه وفـي هـذا الجـنس دلائـل كثيـرة علـى عـدد المخترعـات[٢] ولـذلك كـان واجبـا علـي مـن أراد معرفـة الله حـق معرفتـه أن يعـرف جـواهر الأشـياء ليقـف علـى الاختـراع الحقيقـي فـي جميـع الموجـودات لأن مـن لـم يعـرف حقيقـة الشـيء لـم يعـرف حقيقـة الاختـراع"[٣] ويستشـهد عليـه بظـاهر قولـه تعـالى:{أَوَلَمْ يَنظُـرُواْ فِـي مَلَكُـوتِ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَـا خَلَـقَ اللّهُ مِـن شَـيْءٍ.....}[٤] ،ثـم انتهـى إلـى القـول بـأن هـذين الـدليلين همـا دلـيلا الشـرع ،وأخـذ يسـتدل علـى كـل جـزء منهمـا بالآيـات القرآنيـة، ويصـح أن يكـون مـا ذكـره أبـو الوليـد دلـيلا يهـدم أقـوال التطـوريين الـذين يعتمـدون الاتفـاق والمصـادفة ولا يعتمـدون علـى الله الخالق العظيم.

مـن المؤكـد القـول بـأن هـذا يعتبـر انجـازًا ،شـاد بـه كثيـر مـن المفكـرين المسـلمين الـذين بحثـوا هـذه المسـائل وعالجوهـا معالجـة دقيقـة ، تقـوم علـي الكتـاب الكـريم ،وجهـودهم العقليـة فـي ضـرورة الاستفادة بالملكات الفكرية.

أخلـص ممـا سـلف إلـي جملـة مـن المبـادئ العامـة ،أو القواعـد الكلية باعتبار من الاعتبارات وهى:-

(١)سورة الحج الآية(٧٣)

(٢)الجنس المراد هنا جملة المخترعات ،وارتباطها في وجودها وعدمها بالفاعل العالم المريد ،وهو الله .

(٣)ابن رشد "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة" ص٦٦،٦٧

(٤) سورة الأعراف الآية ١٨٥

المبـــدأ الأول: أن الله وحـده هـو الخـالق ،وهـو وحـده المقـدر ، وهـو وحـده أمـره بـين الكـاف والنـون ،وذلـك ممـا يؤكـد علـي أنـه جـل شـأنه صـاحب الجـلال والجمـال والكمـال والإكـرام ،غيـر أن التطـوريين وأمثـالهم نسـبوا ذلـك إلـي الطبيعـة ،وهـم قـد أخطـاؤا فـي حـق أنفسـهم ، وكفـروا بـالله الـذي خلقهـم وسـواهم ،ورزقهـم وعطايـاه علـيهم لا تنقطـع ،وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها.

أجل لقد نبه علماء المسلمين إلي أن الكلام الذي تقوم له أدلة صحيحة يتم التمسك به ،أما الذي لا تكون له تلك الأدلة الصحيحة، فيجب التخلي عنه ،بغض النظر عن صاحبه ،يدل عليه ما ذكره الشيخ الأمير نقلاً عن ابن العربي من قوله: "إن اعتقاد الفلاسفة لا يرد إلا لما وقع منهم من ضلال ،فيوزن كلامهم ولا يرد لمجرد سماعه ،فربما تبين أنه صواب ،فيدخل رده تحت قوله تعالي:**{وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ}**[1] .

ويواصـل الشـيخ قولـه: أن الفلاسـفة لمـا كـانوا ينسـبون قـدم العـالم وغيـره إلـي مـؤثر ، ولـو بالتعليـل ،وقـولهم بقـدم الأفـلاك والعناصـر هـو الـذي أوقـع فـي الغضـب مـنهم[2] ،وطبقـاً لهـذا المبـدأ فإن كل شيء في الكون مرده إلي الله .

المبـدأ الثـاني: أن كـل حركـة وسـكون أمرهـا مقـدر فـي علـم الله تعـالى ،بحيـث لا يخـرج شـيء عنـه ،ومـادام الأمـر كـذلك ، فـإن كـل

(١) سورة الأنبياء الآية: (٩٧).

(٢) الشيخ محمد بن محمد الأمير "حاشية علي شرح عبد السلام بن إبراهيم لجوهرة التوحيد" للإمام اللقاني وبالهامش إتحاف المريد شرح الشيخ عبد السلام ص٧٤ ط الحلبي ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.

ما يجري في الكائنات لا يؤكد ارتباط الأسباب ببعضها علي ناحية عقلية لا تنفك ،"و إنما هو ارتباط بأسباب عادية ،يمكن أن يفصلها الله تعالي ويقطعها بأمره كن، وبأمره، افن ،فهو جل شأنه الخالق للكائنات بلا واسطة فاعلة ولا معين مستقل، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ،والحوادث هي المخلوقات[١] ،وهذا مما ينتهي إلي القول بأن التطوريين في مخالفتهم القواعد المعمول بها ،لم يقدموا نفعاً ،بقدر ما قدموا ضرراً.

أما لماذا؟ فلأن أقوالهم لا تستند إلي حكم يقيني، ولا نص شرعي والمعلوم أن الحكم العقلي: "عبارة عما يدرك العقل ثبوته، أو نفيه من غير توقف علي تكرر، ولا وضع واضع" [٢]،وإذا لم تتم منازعته أو معارضته بما هو أعلى منه.

<u>المبدأ الثالث:</u> أن استحالة معرفة حقيقة الإنسان نفسه بكيفية أو أنية تفرض عليه التوقف عن وصف الربوبية ،لان الواصف في الأصل هو الله والموصوف هو الله ،وقد نبه العلماء إلي أن تلك المسألة وقع فيها الكثيرون عندما حاولوا وصف الله تعالي بالربوبية، بالأين والكيف ،لأن الله تعالي مقدس عن الأين والكيف ،وذلك مما يبطل دعاوي التطوريين باعتبار الطبيعة هي الخالق بينما الخالق هو الله سبحانه وتعالي.

(١) الشيخ الهدهدي "شرح الهدهدي علي السنوسية" ،بهامش حاشية الشرقاوي علي الهدهدي ص٥٣ ط الحلبي ،بالقاهرة

(٢) العلامة سيدي محمد يوسف السنوسي الحسني "شرح أم البراهين" بهامش حاشية علي شرح أم البراهين للشيخ محمد بن أحمد عرفة الدسوقي ط الحلبي الأخيرة.

وقد نقل أهل العلم جواباً كافياً علي التطورين ،وغيرهم يبطل مزاعم الجميع ،ويثبت وجود الله تعالي علي كل ناحية ،كما يثبت له تعالى صفات الجلال والجمال والكمال والإكرام جاء فيه :

قل لمن يفهم عني ما أقول ... قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه ... ضربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا ... تدر من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدرى صفات ركبت ... فيك حارت في خفاياها العقول
أين منك الروح في جوهرها ... هل تراها فتري كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها ... لا ولا تدري متي عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا ... غلب النوم فقل لي يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجري منك أم كيف تبول
فإذا كانت طواياك التي ... بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدرى من علي العرش استوي ... لاتقل كيف استوي كيف النزول
كيف يحكي الرب أم كيف يري ... فلعمري ليس ذا إلا فضول
فهو لا أين ولا كيف له ... وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له ... وهو في كل النواحي لا يزول
جل ذاتاً وصفات وسما ... وتعالي قدره عما تقول[1]

(١) الشيخ العلامة سيدي أحمد الصاوي حاشية علي شرح أبي البركات سيدي أحمد الدردير علي منظومته في العقائد المسماه بالخريدة البهية ص٤٣ ،ط١ ،١٣٢٨هـ المطبعة الأزهرية المصرية.

الخـــــــاتمة

مـن المناسـب القـول بـأن المقـدمات فيهـا حـديث عـن جوانـب مهمـة تمثـل المعـارف فـي صـورها الواضـحة ،وهـو مـا يعنـي تلخـيص الأبـواب والفصـول مـن ناحيـة الشـكل ثـم تجـيء الخاتمـة فـي نهايـة البحـث ،حاملـة أهـم النتـائج ،وأبـرز التوصـيات فـي شـكل يسـمح بـالقراءة المتأنيـة ،ويعبـر فـي ذات الوقـت عـن الجانـب المعرفـي الـذي ارتبطت به وسوف أطبق ذلك ههنا:

أولاً: أهم النتائج:-

١- أن الوراثـة الأحيائيـة ،ليسـت حـدثا مسـتقلا عـن الفهـم المعرفـي ، كمـا أنهـا ليسـت بعيـدة عـن الوقـائع العلميـة التـي تبحـث تلـك الجوانـب ، وبنـاء عليـه فجديـدها البحثـي لـيس وليـد اليـوم ،وإنمـا هـو وليـد محـاولات سـرت فـي النطـاق المعرفـي حتـى بلغـت الـزمن الذي نعيش فيه ،وأتت بالنتائج التي أمكن قراءتها.

٢- أن مـا يتعلـق بـالتطور الأحيـائي تـم نقلـه مـن الدراسـة النظريـة إلـي التطبيـق العملـي دون أن يكـون هنـاك ممهـد لهـذا النقـل ،أو رابـط بـين النظـري والتجريبـي وبالتـالي ظهـرت فجـوة واسـعة ترتبـت عليهـا أخطـاء متنوعـة ،نالـت مـن الفكـر التطـوري قبـل أن تنـال غيره.

٣- بـروز الفكـر التطـوري النظـري علـي أنـه تجريبـي علمـي، وهـو بعيـد عـن المـنهج المعرفـي ،ومجـافٍ لأصـول البحـث ، بحيـث ينتهـي إلـي ضـرورة إعـلان إفـلاس الفكـر التطـوري ،عـن الوصـول إلي الغايات المعرفية.

٤- أن مـا يتعلـق بالوراثـة الأحيائيـة يعتبـر مسـائل أو محـاولات تـم نقلهـا عـن أقـرانهم ،وبهـذا تسـقط دعـاواهم ،ويبقـي فقـط الفـرض الوحيـد ، وهـو أن كـل مـا يجـري فـي الكـون ،ومنـه الوراثـة مـرده الي علم الله تعالي بجانب إرادته تعالى وقدرته.

٥- أن الباحث المسلم – وهو يتناول الوراثة الأحيائية – يجب أن يضع في حسبانه منهج العرض والمناقشة ؛لأن هذه المسائل من الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله ،وبناء عليه فمن تحدث عن الغيب بغير وسيلة شرعية ،فمن المؤكد أنه سوف يخطئ علي كل ناحية معرفية ربما نالت عقيدته الدينية.

٦- أن الثابت في الدراسات الأحيائية وجود علاقات يتم الربط بينها والمفروض أن تكون هذه العلاقات منضبطة ،بغية الوصول إلي النتائج إما أن تذكر بعيدا عن هذه العلاقات والنتائج فإنها لا تقدم نفعاً ،وإذا قارنا بين قانون العزل ،وقانون التوزيع مثلاً ظهر أن الأمر يحتاج إعادة نظر ،وإذا اعتبرنا قانون الانقسام الاختزالي هو محل الإثبات الذي انبني عليه القول بالوراثة الأحيائية فمن المؤكد أن النتائج تكون سلبية إلي أبعد مدي.

٧- أن الوراثة الأحيائية قيامها في القوانين سالفة الذكر ،أما عمادها فمتردد بين عملية الانتخاب الطبيعي وغيرها ،وهذا من شأنه إفساد تلك الفكرة واجتثاثها من أصولها ،أما لماذا ؟ فلأن فكرة الانتخاب الطبيعي لدى القائلين بها قد أوكلت للطبيعة عمليات الخلق والاختيار إلي غير ذلك من الوجوه ،لكن النصوص الشرعية أبانت أن كل شيء قائم بالله تعالى حتى الطبيعة مخلوقة لله جل شأنه ،وبالتالي بان فسادها ،كما ترجح للمفكر المسلم أن النماذج الأحيائية لا تصل به إلي غايته علي ناحية مقبولة ،لأنها أعطت الطبيعة أوصافاً لا تليق بها وهي مشكلتهم التي يعانون منها ،وتدل على جوانب الالحاد التي تحمل اسم العلم ،وهى بعيدة عنه كل البعد ،بل هي للجدل المنهى عنه أقرب.

ثانياً :أهم التوصيات:-

١- ضرورة التعامل مع هذه الأفكار وغيرها علي أن فيها صواباً يتبع أو فاسداً يهمل وينقطع ؛لأنها مسائل عرضت علي الفكر الإنساني ،بعضها يمكن قبول مقدماته ،وبعضها الآخر ليس من الصواب قبوله مطلقاً.

٢- ضرورة الحد من تقديس الأفكار التي تحمل اسم العلم التجريبي أو تنسب إليه ،لأنها ليست مشروعة ودعوي التأكد منها أو الاعتداد بها من حيث أنها فتح علمي جديد ،إنما هو من قبيل الأفكار المنقوصة ،والأحكام التي لا تقوم علي أصول صحيحة ، ولا يمكن القول بأن نتائجها مسلمة ،لأنها لو كانت مسلمة للاقت وجوهاً عديدة من الاهتمام والاستعمال ،لا الكثير من وجوه النقص والطعن عليها ،والنيل منها.

من المؤكد أن هذا مما يدفع الباحثين المعاصرين إلي نقدها وعدم التخوف منها ،فليست العبرة بالأسماء التي دارت حولها ، أو انتسبت إليها ،وإنما العبرة بمدى موافقتها للحق أو بعدها عنه ، ومن المؤكد أن هذه الأفكار بحاجة إلي المزيد من المراجعة المنهجية حتى لا يقع الأغرار فيها ،أو يعتقدون أن نتائجها مسلمة.

٣- ضرورة الاهتمام بالعقل المسلم في أي مكان ،وهذا يتطلب تضافر الجهود العلمية التي يقوم بها متخصصون ،يمتلكون الرؤية الكاشفة ،ويتعاملون مع الأحداث في صورها الحقيقية ، حتى يوفروا علي الجيل الجديد بعضاً من الجهود التي تنفق فيما هو بعيد عن الحقائق ،وفي ذلك احترام للعقل المسلم ، وتسديد للعلماء أنفسهم.

٤- الاهتمام بالدراسات العلمية في الميدان التجريبي ،لأن ذلك يمثل حائط صد للأفكار التي يجيء منها هؤلاء ،وإذا استطاع

المفكر المسلم تنبيه أبناء جلدته إلي ما في هذه الأفكار من سلبيات تمس العقيدة الإلهية ، فإنه بذلك يقدم لدينه العديد من وجوه النفع ، كما يمهد للناشئة في التمسك بأصول البحث العلمي حتى لا يستطيع أن يبعدهم أحد عنه ،أو يؤثر عليهم ، وهذا من شأنه إزاحة مساحة واسعة من الأفكار التي لم تثبت صحتها ،وما تزال تتردد في الفكر الإنساني ، ثم تلمس بعض جوانب الفكر الإسلامي ،وقد يظن البعض صوابها وما فيها شيء من صواب أبداً.

٥- الاعتناء بالمصطلحات العلمية التي يتناولها المثقفون، وضبط القواعد التي تقوم فيها ،فليس من الصواب أن يظل الناس متحاورين علي طريقة أنا لا أنت ،فإنها كثيراً ما أفسدت العلاقات الإنسانية ،وأطاحت بالاهتمامات المعرفية ،بل جعلت أفراد البشرية في صراع لا ينقضي.

بل الواجب أن يكونوا في وفاق ،أصوله لا تبتعد ،وإن بعدت فلا تتعدد ، لأن القاعدة الأساسية سارية في قوله تعالي:**{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}**[1]،والتفرق يؤدي إلي الانهيار ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ربنا أتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ، وأخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

(١) سورة آل عمران الآية: (١٠٣)

فـــــــهرس المصادر

ذكرت أهم المصادر حسب وردها بهوامش صفحات البحث ، باسم الشهرة للمؤلف ثم اللقب والاسم وتاريخ الوفاة إن وجد ثم اسم الكتاب وبيانات النشر.

١- القرآن الكريم

البخاري ، الإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري

٢-"الجامع الصحيح" تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم الشيخ/محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

صالح ، الدكتور/محسن محمد

٣- "المناهجية المعاصرة وقواعد البحث العلمي" ط١ مكتبة الفهد ١٩٨٥م.

سندي ، الأستاذ/ وليم

٤-"علم المناهج المعاصرة وأثره في الثورة الرقمية" ترجمة د/فوزي نصار مراجعة أ/حسن رمزي ط الدار العصرية ١٩٩٤م.

الغزالي ، الإمام أبو حامد محمد بن محمد (المتوفى: ٥٠٥هـ)

٥-"ميزان العمل" ضمن مجموعة القصور العوالي مكتبة الجندي .

٦-"فاتحة العلوم" ضمن رسائل الإمام الغزالي طبعة دار الفكر بيروت .

الجوينى، إمام الحرمين عبد الملك

٧- "الكافية في الجدل" قامت بتحقيقه ونشره د/فوقيه حسين محمود .

الهمذاني ،القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد

٨- "المغني في أبواب التوحيد والعدل ،الدار المصرية للتأليف والترجمة .

عبد الباقي، الأستاذ/محمد فؤاد

٩- "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، بحاشية المصحف الشريف ، دار الحديث القاهرة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

مجمع اللغة العربية

١٠-" المعجم الوسيط" الجزء الثاني ،مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة الثالثة .

ابن منظور، العلامة جمال الدين (ت ٧١١هـ)

١١-"لسان العرب" ،دار صادر، بيروت الطبعة :الثالثة – ١٤١٤ هـ.

ابن فارس ، العلامة أحمد (ت ٣٩٥هـ)

١٢-"معجم مقاييس اللغة" تحقيق:عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

شريف ،الدكتور/ رفعت

١٣- "علم الوراثة" ،مطبعة النهر الخالد ،١٩٩٣م .

السيد ، الدكتور/ محمد

١٤-"التطور الإحيائي ومشكلة الوراثة" ط أولي مكتبة المنهل١٩٨١م.

ابن سينا ،الشيخ الرئيس أبو على

١٥-الإشارات والتنبيهات القسم الثالث ،مع شرح نصير الدين الطوسي ، سلسلة ذخائر العرب رقم(٢٢) ط٣ دار المعارف بالقاهرة.

دنيا ، الدكتور/ سليمان ،

١٦- تحقيق الإشارات والتنبيهات مع شرح نصير الدين الطوسي ،دار المعارف ط ٣،القاهرة

طه ، الدكتور حسن خليل

١٧- "فكرة العلل في الفلسفة" ط دار مراد ١٩٧٥م .

العتر ، الدكتورة / تهاني محمود

١٨-"نظرية التطور العلمي" ط ٢ ،المكتب العلمي ١٩٨٠م .

واتسن ، الأستاذ/ أ.ب

١٩- "التطور الجيني" ترجمة وفاء صالح ،طبعة بيروت ١٩٩٥م .

القرطبي ،الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)

٢٠–"الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان" تحقيق د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، الرسالة، الطبعة الأولي ١٤٢٧/٢٠٠٦م.

فاضل ، الدكتور/محمود السيد فاضل

٢١–"الأفكار التطورية عرض ونقد" مطبعة المعرفة ،بيروت ١٩٨٧م .

القشيري ،العلامة عبد الكريم بن هوازن (ت ٤٦٥هـ)

٢٢–"لطائف الإشارات" ،تحقيق د/إبراهيم البسيوني ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م.

عبد العاطي ، الدكتور محسن السيد

٢٣– "هذا خلق الله" ،طبعة القاهرة ،١٩٩٨ .

صقر ، الدكتور فوزي السيد

٢٤–"خلق الإنسان بين الترائب و الأمشاج" طبعة المنتزه١٩٩٩م.

ابن رشد ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت٥٩٥هـ)

٢٥–" الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والبدع المضلة" ،تحقيق مصطفى عبد الجواد عمران ،ضمن كتاب بعنوان فلسفة ابن رشد ،المكتبة المحمودية ،القاهرة.

عبد الرازق ،الشيخ مصطفي

٢٦– "تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية" ،مكتبة الأسرة ٢٠٠٧م سلسلة العلوم الاجتماعية .

خليفة ،د/فريال حسن

٢٧– "العقل والمقدس عند توماس بين " ،ص٨٢–٨٥ مكتبة مدبولي ، القاهرة ٢٠٠٤م

الشرقاوي ، العلامة الشيخ عبد الله

٢٨- "حاشية الشرقاوي علي الهدهدي" وبالهامش شرح العلامة الهدهدي علي السنوسية ،دار إحياء الكتب العربية ،عيسى البابي الحلبي ، بدون تأريخ .

الملوي ، العلامة الشيخ شهاب الدين

٢٩- "شرح السلم" ط المعاهد الأزهرية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

خطاب ، الدكتور/ محمود السيد

٣٠- "من قضايا الفكر و العقيدة" القاهرة ١٩٥٧م .

القويسني ، الشيخ حسن درويش

٣١-"شرح القويسني علي متن السلم في المنطق" ،ط الحلبي ١٩٥٩م .

ابن باجة ،أبي بكر محمد

٣٢-" كتاب النفس"، تحقيق د. محمد صغير حسن المعصومي ،مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٩هـ ،١٩٦٠م

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت٥٩٥هـ)

٣٣- "تلخيص كتاب النفس" ومع أربع رسائل نشرها وحققها وقدم لها د. أحمد فؤاد الأهوانى ،مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠م.

فوزي ،الأستاذ عبد الصمد السيد

٣٤- "الإنسان في ظل الأديان" مطبعة المنتزه ١٩٨٥م.

ساجقلى زاده ،العلامة المرعشي الشهير

٣٥-"نشر الطوالع" ،مكتبة العلوم العصرية ومطبعتها بخان جعفر بجوار سيدنا الحسين بمصر ،ط(١) ١٣٤٢هـ١٩٢٤م.

الإنبابي ، الشيخ محمد

٣٦-"تقريرات الانبابي مع حاشية الشيخ ابراهيم الباجورى علي متن السلم"، مطبعة مصطفى البابي الحلبى ،جمادى الثانية ١٣٤٧هـ ورقم الكتاب بالمطبعة ٣٢٩.

الأخضري ،الشيخ عبد الرحمن
٣٧–"السلم المنورق في علم المنطق" ط الحلبي القاهرة
النحاس ،العلامة أبو جعفر (ت ٣٣٨هـ)
٣٨–"معاني القرآن" تحقيق: محمد علي الصابوني الناشر: جامعة أم القرى– مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
الطبري ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤:٣١٠)
٣٩–"جامع البيان في تفسير القرآن". **ط٣،دار الجيل البابي الحلبي ١٩٥٤م.**
جبر ،الدكتور على
٤٠–"منطق حديث" دار الطباعة الفنية بالقاهرة ١٩٦٣م
المناوى ،العلامة زين الدين محمد بن تاج العارفين (ت ١٠٣١هـ)
٤١– "فيض القدير شرح الجامع الصغير" ط٢ ،دار الفكر للطباعة والنشر ١٣٩١هـ ١٩٧٢م.
السخاوي، الإمام شمس الدين أبو الخير (ت٩٠٢هـ)
٤٢–"المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علي الألسنة"، تحقيق عبد الله محمد الصديق ،وعبد الوهاب عبد اللطيف ط١ ،دار الكتب العلمية بيروت .
صالح ، الدكتور محمد السيد
٤٣–"الفلسفة الحديثة والمعاصرة" ط مكتبة القصر ٢٠١٤م.
الشيمي ، الدكتور محمد صالح
٤٤– "الأفكار الفطرية بين الدين و الفلسفة" ، المكتبة العصرية ١٩٨٤.
شاخنت ، فردريك
٤٥–"القوانين العلمية وأثرها في الجوانب الإحيائية" ترجمة محمود فوزي ١٩٧٨م.

توفالتس ، الفريد

٤٦-"علم الوراثة و القوانين الطبيعية" ترجمة حسن رزق ط أولي بيروت ١٩٨١م.

فرانسس ، الدكتور/ انطونيو

٤٧- "الوراثة و القانون الطبيعي" ترجمة د/فوزي محمد خاطر ط دار الفكر بيروت ١٩٩٨م.

الفقي ،الدكتورة / علياء محمد

٤٨- "القانون الطبيعي و الوراثة الإحيائية" مكتبة الوردان ١٩٨٥م.

هارمس ، اولن

٤٩-"البيولوجيا من منظور آخر" ترجمة صبحي اسكندر ط دار اللؤلؤة ١٩٨٧م.

هارمس ، جورج

٥٠- "الإنسان ابن الطبيعة " ترجمة عدلي فوزي مراجعة الدكتورة شوقية فوزي ود/حسن شلبي ط بيروت١٩٧٨م.

الفقي ،الدكتورة / علياء محمد علياء ،

٥١- "ماندل وقوانين الوراثة" ط أولي ١٩٧٥م .

فرانسس ، د/أنطونيو

٥٢-"علم الخلايا و الهندسة الوراثية" ،ترجمة عبد الحميد فوزي ، مراجعة د/عنايات احمد صالح بيروت ١٩٨٥م

الطماوي الدكتور/ عبد العظيم محمد

٥٣- "البيولوجيا وخطط المستقبل" ط أولي الدار الجديدة ١٩٨٠م .

العتر، الدكتور/ كمال محمد

٥٤- "دراسات في علم الإحياء" ص١٦٥ ط أولي دار المنشأة بالإسكندرية ١٩٦٧م.

علام ، الشيخ محمود السيد

٥٥- "هذا خلق الله" ص١٣٧ ط المنيل ١٩٦٥م .

هيلز ، توماس

٥٦-"الكائنات الحية والبيولوجيا المتقدمة" ترجمة رزق فوزي طبعة دار الجيل بيروت١٩٨٧م .

باتروس ، وليم

٥٧-"الوراثة ودورها في التمايز النوعي و البيئي" ترجمة د/ عبد العزيز فوزي ط بيروت١٩٧٥م .

صبحي، الدكتور/ علي السيد

٥٨-"الأفكار التطورية و أخطارها علي القدرات العقلية" المنتزه١٩٧٨م.

حشمت ، الدكتور/ محمد السيد

٥٩-"التطور الإحيائي ومشكلة الوراثة" ط أولي ١٩٨١م .

فوتاس ،جيمس

٦٠- "الوراثة و الطبيعة" ترجمة هاني فوزي.

دويزفسكي ، جوزيف

٦١-"الوراثة ونشأة الأنواع" ترجمة صبحي اسكندر ط دار الجيل بيروت ١٩٧٧م.

الإيجي، الإمام العضد

٦٢- "المواقف"، الموقف الخامس في الإلهيات المقصد الأول في إثبات الصانع مكتبة المتبني بالقاهرة.

توماهوك ، اندريه

٦٣-نظرية التطور في الكائنات الحية ترجمة نصر الدين فواز ط بغداد ١٩٨٣م .

الشاطبي ، الشيخ إبراهيم بن موسى (ت٧٩٠هـ)

٦٤-"الموافقات في أصول الشريعة"طبعة مكتبة الأسرة بالقاهرة ٢٠٠٩م

٦٥- "الاعتصام" تحقيق ودراسة:د/ محمد بن عبد الرحمن الشقير ، وأخرون، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

الزين، الدكتور/محمود حسن طه

٦٦-"أحكام العقل في الشريعة الإسلامية" طبعة القاهرة ١٩٦٨م .

الهدهدي، العلامة الشيخ

٦٧-"شرح الهدهدي علي السنوسية" بهامش حاشية الشرقاوي علي الهدهدي ط دار إحياء الكتاب العربية .

الجرجاني، العلامة علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦هـ)

٦٨- "التعريفات" ضبطه وصححه جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط١ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

التهانوي ، العلامة محمد بن علي

٦٩-"موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ط١ ١٩٩٦م.

حيدر، الدكتور/ عدنان محمد حسين

٧٠- "الانتخاب الطبيعي وموقف الإسلام منه" ط الموصل كركوك ٢٠٠٥م .

توما هوك ،اندريه

٧١-"كتابه نظرية التطور في الكائنات الحية" ترجمة نصر الدين فواز ط بغداد ١٩٨٣م

الشرقاوي ،الشيخ عبد الله

٧٢-"حاشية الشرقاوي علي شرح الهدهدي علي السنوسية" ،ط الحلبي.

هارمس اولن هارمس

٧٣–"البيولوجيا من منظور آخر"، ،ترجمة صبحي اسكندر ،دار اللؤلؤة ١٩٧٨م.

الرازي الإمام الفخر (ت٦٠٦)

٧٤–"مفاتيح الغيب" ط٣ ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ١٤٢٠ هـ.

بيتر ، جورج

٧٥–"القوانين الإحيائية ودورها في الكائنات الحية دراسة في البيولوجيا الجزئية" ترجمة د/صفوت حسن، مراجعه د/ تهاني عبد المنعم ط دار الجيل ١٩٩٨م .

ابن سينا ،الشيخ الرئيس أبو على

٧٦–"الشفاء الطبيعيات (١)السماع الطبيعي" تحقيق سعيد زايد ،مركز تحقيق التراث ابن سينا ،الهيئة المصرية العامة للكتاب بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس.

خان ،الأستاذ وحيد الدين

٧٧– "الأستاذ وحيد الدين خان "الإسلام يتحدى" مدخل علمي إلى الإيمان تعريب د/ظفر الإسلام خان ،مراجعة وتحقيق د/عبد الصبور شاهين، مكتبة الرسالة.

اليوسفي ، الشيخ محمود بن حسن

٧٨–"الكون المنظور ودلالاته علي وجود الله تعالي" تحقيق ودراسة د/ محمد صالح حسن ط١ ،مكتبة العصر ١٩٩٨م.

السيد ،الدكتور محسن فوزي

٧٩– السنة النبوية تدافع عن نفسها " ط المكتب العصري ١٩٩٩م.

الماتريدي ، الشيخ أبو منصور

٨٠–"تأويلات أهل السنة " تحقيق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

السمرقندي الإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (ت ٣٧٣هـ)

٨١–"بحر العلوم".

سلطان ، الشيخ محمود السيد

٨٢-"العقيدة الإلهية ومصادرها النقلية " ط الشباب بالقاهرة ١٩٣٨م.

فرانسيس ، انطونيو

٨٣-"علم الخلايا والهندسة الوراثية" ترجمة د/حسن شوقي مراجعة أ/فوزي اسكندر ط بيروت ١٩٨٨م.

ابن عطية ،الشيخ أبو محمد عبد الحق (ت٥٤٢هـ)

٨٤-"المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز" . تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

صبحي، الدكتور محمود صبحي

٨٥-"العقيدة الإسلامية والتيارات المعاصرة" ط المنتزه ١٩٩٨م .

صالح، الدكتور /حسن سليمان

٨٦- "الإنسان في المستوي الإحيائي "دراسة في البناءات والهياكل العضلية ، مكتبة الشرق الأوسط ١٩٩٨م .

خضر ، د/ جلال

٨٧- "الإنسان الذكر و الأنثى في المرآة العلمية والنصوص الشرعية " مطبعة المجد ١٩٩٣م.

رضوان ، د/ حسن عبد الحميد

٨٨-"أين الإنسان من المنظومة الكونية " مطبعة حسام بالقاهرة ١٩٦٦م.

الأمير الشيخ محمد بن محمد

٨٩- "حاشية محمد الأمير علي شرح عبد السلام بن ابراهيم المالكى لجوهرة التوحيد" ط الحلبي الأخيرة ١٣٦٨هـ ١٩٤٨م .

الحامدي ،الشيخ إسماعيل

٩٠-"حواش على العقيدة الصغرى"

العقباوي ،الشيخ مصطفى

٩١-"حاشية العقباوى على شرح عقيدة الدردير" المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٦هـ على نفقة الشيخ محمد على المليجى الكاتبي

الفضالى الشيخ محمد نووى

٩٢-"كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام "بهامش تحقيق المقام، الشيخ ابراهيم الباجوري طبة الحلبي الأخيرة ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م

العتر ، د/ كمال محمد

٩٣-"دراسات في علم الأحياء" ط أولي دار المنشأة بالإسكندرية ١٩٦٧م.

عبد الظاهر ، د/حسن السيد

٩٤- "الهندسة الوراثية وملامح المستقبل" ط المكتب العصري ١٩٩٣م.

صفوت، د/فوزي حسن

٩٥- "علم الوراثة وعلاقته بهندسة الجينات" ط مكتبة مختار ٢٠٠٣م.

الجمل ، د/ صبحي السيد

٩٦-"قوانين الوراثة بين القبول والرد " ط مكتبة العربي ٢٠٠٥م .

السنوسي ، العلامة سيدي محمد يوسف

٩٧-"شرح أم البراهين" بهامش حاشية علي شرح ابن إبراهيم للشيخ محمد بن أحمد عرفة الدسوقي ط الحلبي الأخيرة.

الصاوي ، الشيخ العلامة سيدي أحمد

٩٨-"حاشية علي شرح أبي البركات سيدي أحمد الدردير علي منظومته العقائد المسماه بالخريدة البهية" ط أولي ١٣٢٨هـ المطبعة الأزهرية المصرية.